



مناورات السياسة

من جهاد الوطنيّة إلى مفاوضات السياسة ومساومات المفاوضة
تاريخ ثورة ١٩١٩ وتصريح ٢٨ فبراير وإنشاء الدستور والبرلمان

بقلم

أنور الجندى

صفر ١٣٦٦ - يناير ١٩٤٧

سلسلة رسائل تاريخ الفكرة الإسلامية منهاجها . قواعدها . غايتها . وسائلها

﴿ المجموعة الثالثة ﴾

تاريخ الاحتلال الإنجليزي لبلاد مصر والنيل

١ - أخرجوا من بلادنا (تاريخ مصر من عهد محمد علي إلى ثورة عرابي
إلى بقطة ثورة ١٩١٩)

٢ - مناورات السياسة (تاريخ مصر من ثورة ١٩١٩ إلى الدستور والبرلمان)

٣ - الأحزاب السياسية والرعاة في الحكم وخارجة (تاريخ الأحزاب
والوزارات من ٩٢٠ - ٩٤٦)

٤ - النيل لا يتجزأ (تاريخ المسألة السودانية في المفاوضات وآثار
الاحتلال والسودنة والاستفتاء)

تظهر تباعا أول كل شهر

﴿ المجموعة الثالثة ﴾

دسائس الاستعمار في الشرق الإسلامي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَيْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ
مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ * وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ
جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي
أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَاتٍ وَعَيْونَ * إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا مُسَوِّءٌ
عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ *
إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ
فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلِكْنَاهُمْ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿ سُورَةُ الشَّعَرَاءِ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم والمحمد لله وأولادنا

تاريخ الاحتلال الإنجليزي لوادي النيل وآثاره السوداء

— ٢ —

مناورات السياسة

هذا هو الكتاب الثاني من هذه السلسلة التاريخية التي نريد أن نجعل بها حقائق هذا التاريخ ونكشف أسرارها بوضوح ، وقد تناولنا في كتابنا الأول (أخرجوا من بلادنا) مبادئ الاحتلال وأسبابه وعوامله منذ أيام إسماعيل وتوفيق ثم تكلمنا كلاما عاما عن الصين الأولى للاحتلال إلى ثورة ١٩١٩

أما هنا فنحاول تاريخ الثورة وآثارها ، وإن كنا لا نؤمن بأن الثورة وسيلة إلى تحقيق المطالب والأهداف وقد جربناها سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٤٦ فلم نجح معها إلا التصريحات المحددة للأعصاب وتناولنا إلغاء الحماية بتصريح ٢٨ فبراير وتثبيت الاحتلال ، وقيام الحياة الدستورية السياسية في ظل جيش الاحتلال وأسطوله وقد فصلنا تاريخ إنشاء الدستور والمراسل التي مرت به ، وتاريخ البرلمان والانتخابات وعيوبها التي جهر بها كل مصلح وطني ، وأسبغنا هذا الكتاب (مناورات السياسة) بد جهاد الوطنية) لقلبه هذه القزعة علينا خلال هذا الربع قرن

ومع إيماننا بأن النظام الدستوري البرلماني هو أفضل النظم للشورى كما جاء بها الاسلام ، إلا أن العيب الوحيد الذي انصل بهذا النظام هو قيامه في ظل الاحتلال ونصائح قصر الدوبارة وغلبه روح الفردية والنفعية على بعض الزعماء والمستوزرين والنواب

أنور الجندى

وطنية وسياسة

كانت حركة عراني ثورة ضد الطغيان الأجنبي انتهت باحتلال الانجليز لمصر باسم تثبيت عرش الخديوى ، ثم أشرقت آمال الحرية والكرامة والجلالة في صيحة مصطفى كامل ومحمد فريد ، فكانت النواة الأولى لثورة ١٩١٩ التي هزت الدنيا وأثبتت أن في مصر شعباً لا يقبل الذل ولا يرضى بالحسف ولا يستكين إلى الجور ولا يستسلم للظلم ، ولكن الغاضب الظالم استطاع أن يطفىء النار بالماء فخلق طبقة جديدة من الزعماء وصنع طوائف جديدة من القادة غير أولئك الذين أيقظوا الشعب وطالبوا بحريته الكاملة ، واستطاع هذا الفريق الجديد أن يخلق جواً من التفاهم والصداقة والمفاوضة والمساومة بعد أن كان الاتجاه جهاداً وخصومة ومطالبه بالحقوق وإصراراً على الحرية والجلالة الكامل وتصمماً على الجلاء قبل المفاوضة ، وقد استطاع هذه الطبقة الجديدة أن يضرب الأمة بعضها ببعض فيمزقها شيعاً وأحزاباً وجماعات ، وأن ينصب لها هذا المسرح العجيب بتصريح ٢٨ فبراير فيصبح لنا دستور وبرلمان باسم (الاستقلال التام) ، ثم يتقاتل الزعماء على كراسى الحكم وكراسى البرلمان وترجى التحفظات وتظل مصر مكذابة في أتون متقدوات انقلابات متتالية ومن ثم انقلبت القضية الوطنية ، قضية الحرية من ميدان الجهاد والكفاح والنضال والثورة والاباء بالحقوق إلى ميدان السياسة ومناوراتها وأساليبها وماوراءها من مداورة ودس وخصومة وانتقام وإيثار للفردية الشخصية عن حقوق الوطن وكرامته وغزته إلى أن ينسلخ الشباب من الحزبية ويكفر بالزعماء ويضرب صفحا عن مناوراتهم في ٢٢ مارس ١٩٤٦ فينادى بسقوط الحزبية والجلاء الناجز ووحدة وادى النيل وتبدمصر لجرأ جديداً من الحياة ونحن هنا نريد أن نصور هذه الحياة ونرسم هذه القضية ونرجى قضية الأحزاب والزعماء في الحكم وخارج الحكم إلى الرسالة المقبلة

والله نسأل أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه لا نريد به طمعنا ولا تجريباً ولا نبغى به غرضاً إلا أن نجلى هذه الحقائق التي ظلت حبيسة حيناً من الزمن بين يدي شبابنا ليفهمها صريحة واضحة .

بين وطنية الجهاد .. ومناورات السياسة

باسمك اللهم نبدأ هذه الحلقة الثانية من حلقات القضية الوطنية لنكمل بها استعراض المرحلة الثانية في قضية هذا الوطن العزيز الغالي ، هذا الوطن الذي ما يزال يروى ثراه بدماء الشهداء الأبرار الأبطال من أبنائه في سبيل العزة والحرية والسيادة ، رغبة في الوصول إلى الحقوق المغتصبة التي لن تضيع مادامت ترف حولها هذه القلوب وتوازيها هذه النفوس وتظاهرها هذه الأرواح

القلوب المؤمنة والنفوس الطاهرة والأرواح المخلصة التي تؤمن بالفداء وتتق بالجهاد ولا تقف عن البذل ما وسعها البذل في ساح الشهداء ، فاللهم اكتب لهذا الوطن حريته الكاملة وحقوقه الثابتة وأيد العاملين فيه واجعل الدائرة على الظالمين الغاصبين ، والمستعمرين المحتلين . واجعلها نارا حامية على الانجليز ومن والاهم ومن ناصرهم ومن رضى بهم أو لهم ، وخذم بياسك الشديد المتين أخذ عزيز مقتدر ودمر سلطاتهم وهدم بنيانهم واجعل الهزيمة عليهم في البر والبحر والجو صارخة تامة إنك على ما تشاء قدير

أما هذه الحلقة فبدأها نور سنة ١٩١٩ ، هذه الثورة الكريمة المباركة التي قادها الشعب ، ودبرها ونظمها ، وحررها من كل هوى أو غرض ، وسار بها يتعدوها الإيمان ويحف بها الصدق وتدفع اليها نفوس آمنت بحقوقها فقامت تعلن عنها وتشهد الدنيا جميعا على أنها لا تقبل الضيم ولا ترضاه ولا تستكين إلى الذل بل تأباه

وقد حطمت الأمة القيود ، ولم تثنها عن عزمها ضربات المدافع والرصاص وألوان الاعتداء من الجيوش الانجليزية أو المصرية ، بل تلقت هذه الطعنات في الصدور لا في الظهور وقدمت شهدائها الأبرار الطاهرين على مذبح الحرية حتى هزت العالم وأصبحت حديث الصحف والبرق في كل مكان ، وشعرت انجلترا الظالمة الغاصبة ، إنها إزاء شعب قوى قتي ، لا يمكن أن يسام أو يذل أو يرضع

أو تستعبد وكانت نتائج هذه الثورة القوية حتما هي الحرية الكاملة المؤكدة ، والجلالة ،
الناجز بدون قيد ولا شرط ووحدة وادى النيل من منبعه إلى مصبه فكذا قامت
الامة تنادى ولكن الأسف يحز القواد ، والحزن يقطع نياط القلب ، والأسى
يملا الجوانح حين نرى أن هذه الثورة قد فشلت في مهدفها ، وإن انجلت استطاعت
أن تخرج من بين هذا الشعب الباسل الابى طائفة ، لم يكن لها ماضى فى الجهاد ،
ولا تاريخ فى الوطنية ولا أثر فى الكفاح فتنتخب منها ممثلين لهذا الشعب تفرضهم
فرضا ، وتسوق هذا الشعب سوقا ، للتهافت لهم والنداء بهم والجرى ورائهم ،
حين تهمل عن غرض مييت مدفون ، أصحاب النهضة وقادة الفكرة ، هؤلاء
الذين ألهبوا الشعوب ، وأيقظوا النفوس وعملوا لهذا اليوم منذ قام مناديتهم
الشاب البطل ، مصطفى كامل ثم خلفه محمد فريد والفتة المؤمنة التى معه

ومفاوضة الانجليز

أما هذا الفريق الجديد فقد كان فريقا نشأ فى مدارس الحماية وترقى فى معاهد
الاحتلال ودرج فى كليات الاستعمار وآمن بالتفاهم والمجاملة واللين ورضى من
الانجليز بالمفاوضة والمباحثة والمساومة على حقوق الوطن الواضحة فرضى به
الانجليز وقربوه وأيدوه ، وعرفوا أنه طويل العمر وإن هذا اللون الجديد من
الحياة السياسية فى مصر سيجعل للاحتلال أمدا واسعا وعمرا بمتدا وإن لهذا
التفاهم أساليبه وأوقاته ، ومتاوراته ومزالقه ، ومدته وجزره

والعجيب أن هؤلاء الزعماء كانوا من أعضاء حزب الامة الذى صنعه كرومر
يوم اشد ساعد الحرب الوطنى ، والعجيب أيضا أن من هؤلاء الزعماء من اشترك
فى وزارات الاحتلال التى مزقت أديم الكرامة المصرية أربا وقدمت المجاهدين
إلى المحاكاة .

والغريب أن هؤلاء الزعماء كانوا يعلمون أن الشعب كله يتنادى بالحرية
والجلاء فسخرُوا من هذا الشعب وضلّوه وعملوا على التفاهم والمساومة فى
الحقوق الواضحة الظاهرة الجلية التى ليست فى حاجة إلى إبانة أو تفاهم .

وأغرب من هذا أنهم جاهدوا وقد أظلمت ثورة عنيفة قوية ، شديدة الأوار
وأن لهذه الثورة نتيجة وأن لهم منها فرصة سانحة لا يمكن أن تمر على أمة دون أن
تحقق ما تريده كاملاً غير منقوص ولكن العجيب الغريب أن رغمًا ثاقتلوا هذه
الثورة في مهدها وساروا مع المستعمر الغاصب ولقوة في وسط الطريق وقبلوا
منه العروض ، وقدموا له عروضاً فيها مساومة على الجلاء الكامل والوحدة
الكاملة وقطعوا مسألة السودان وأجلوها ...

ورضوا بوضع قوات (١) عند قناة السويس وقبلوا بتقديم جيوش في حالة
اشتراك إنجلترا في حرب مع غيرها وقبلوا أن يجعلوا القضية المصرية قاصرة على
إنجلترا وحدها ، وأن يكون أمر النضال في سبيل حرية مصر لا يعدو التناغم مع هذه
النوطة ، ولا يعلن للدنيا في المجامع والموتمرات الدولية كما كان يفعل مصطفى وفريد
فضيقوا نطاقها واستبدلوا الوطنية والجهاد ووسائل النضال والكفاح التي لا غنى
عنها للشعوب المؤمنة بحقوقها ، المدافعة عن أوطانها ، بالسياسة ومناوراتها والمفاوضات
وأساليبها وتقديم مشاريع المعاهدات وقبول المحاورات مع أسانذة الاستعمار
ودهاء الاحتلال ، هؤلاء الذين برعوا في تقديم ألفاظ لامعة عجيبة مطاطة تحمل
ألف معنى وتدس ألف سم في تعبیرها البراق الجليل وإن كانت الأمة قد وقفت
وقفتها الوطنية النالية للثورة بأقامة الحصار الكامل على الوزراء برفض قبول
الحكم وقتاً طويلاً ... ثم مقاطعة لجنة مانر ومشروعه ..

إلا أن الإنجليز استطاعوا أن يلقموا هذا البلد تصريحاً من جانب واحد هو
تصريح ٢٨ فبراير المشنوم ، هذا التصريح الذي أعلن استقلال مصر ، هذا
الاستقلال المزيف المكذوب الذي لم يكن إلا كلمات تقال وألفاظ تعلن أما
الحقائق الثانية فانه مكن للاحتلال تمكيناً وركز قواعد الاستعمار تركزاً ،
وجعل الأمر مفهوماً في ظاهرة أنه الاستقلال والوزارة والبرلمان والدستور ..
ومن خلف الستار وضع يده على كل شيء ، وصرف الأمور كما أراد وفرض
قصر الدوبارة سلطانه في الوزراء والحكام وأصبح له القدرة الكاملة كما كان
من قبل وأشد في عزلهم وتعيينهم ، وبقى له حق أنذارهم وتوجيههم ...

(١) التصريحات الخزية التي صرح بها سعد زغلول للندوب الانجليزى يوم (عيد الجهاد

وقد استدعى هذا الاستقلال العجيب قيام حياة نياية في مصر على أساس دستور وبرلمان .. واستدعى (١) وجود البرلمان والدستور أن تكون في البلد أحزاب مختلف وتعارض فانشىء حزب الأحرار الدستوريين قبل صدور الدستور من طائفة من السابقين في حزب الوفد .

ومن الأخطاء البالغة الضخمة أن زعمائنا وشعبنا قبل هذا الوضع الجديد مع قيام الاحتلال ومع وجود دار المندوب الانجليزى ، ومع وجود جيش الاحتلال في كل مكان .

ومن ثم برزت هذه الاسماء من الزعماء الذين آمنوا بمبدأ التفاهم مع الانجليز والمفاوضة بل والمحالفة ، هؤلاء الذين اعتقدوا أن هذا هو الطريق الوحيد لهذا الوطن ولا طريق غيره وخذعوا أنفسهم عن تاريخ الأمم المجاهدة التي لم تل واحد منها حقوقها أبداً على موائد المفاوضات ولا بالمعاهدات .

وقد احتفظ الانجليز في تصريحهم المشنوم لأنفسهم حق السيطرة بمسائل أربعة هي قوائم الاستقلال وقواعد الحرية ، إلى مفاوضات قادمة ..

وكان هذا الحكم في عرف السياسة الانجليزية ما أسموه بالحكم الذاتي ، هذا الوضع الجديد الغريب ، من المناورات الانجليزية الاستعمارية ، أن يتسم الوطن باسم الاستقلال وأن يكون به دستور وبرلمان وانتخابات وأحزاب ثم يظل الاحتلال قائماً والاستعمار جاثماً ، ولا يمكن بعد ذلك لداع أن يدعو ولا لتسكلم أن يتكلم بكلمة الحرية أو النضال أو الجهاد ..

وبعد أن كانت جيوش الانجليز هي التي تضرب المصريين المدافعين عن وطنهم ، المعلنين لشعورهم ، الصائحين في وجه الاستعباد والاحتلال ، أصبحت الحكومات القائمة ، والوزارات النواية ، هي التي تكبت هذا الشعور ، وتجارب هذه الصيحة ، وتعتقد أن كل مظاهرة مؤامرة لقلبها ، وأن كل نداء بالجهاد والنضال أو الكفاح في سبيل الحقوق هو إخلال بالأمن العام .

ذلك لأن وزرائنا وزعمائنا الجدد يعلمون أن رضا قصر الدوبارة عنهم .

(١) هذا الاستدعاء في عرف الانجليز ، أما في مقاييس التشريع الاسلامي فالأمة كلها تتوحد على الهدف ويجوز لها الاختلاف في فروع المسائل وتقوم فيها للعارض الغلبة الشريفة

هو كل شيء. وأن غضب قصر الدوبارة عليهم هو كل شيء. أيضاً وأن في هذا الغضب سلب هذه السيادة ولهذا السلطان، سلطان كرسى الحكم، وما رآه من سلطان وسطوه، وما حوله من بهرج وزخرف.

ومن ثم توالت الأحزاب وتمزقت الأحزاب إلى أحزاب وانقسمت الأمة وراء هذه الأحزاب إلى فرق تتقاتل قتالاً عنيفاً في أيام الانتخابات حتى يقتل الأخ أخاه وينقسم البلد الواحد والبيت الواحد، وتسيل الدماء، ذلك لأن سلطاناً جديداً يوشك أن يغير سلطاناً قديماً، وأن وزارة جديدة وحزباً جديداً قد انتصر وساد، وقد أخذ يرثع أنصاره إلى عليا الأماكن ويخفض أعدائه إلى السجون والمعتقلات...

وأصبحت الأحزاب الكثيرة العديدة لا تعمل شيئاً، إلا أنها تسعى إلى الحكم وتعمل كل مافي وسعها عمله لقلب الوزارة القائمة بالادعاء وبالباطل وبالحن وبالشبهة وبقلب الأوضاع، وينسفيه المشاريع والأعمال وبكل وسيلة شريفة أو غير شريفة حتى إذا سقطت الوزارة وحلت هي مكانها تمسكت بالحكم ما أمكن التمسك به، وقبلته واستمرت فيه، وحاولت أن تقمع كل حركة وكل نورة وكل بارقة حتى لا يكون ذلك وسيلة إلى هز عرشها وسقوطها.

والزعماء والوزراء ومن بينهم مقاليد الأمور في هذه السنين المتوالية والشهور المتتالية يحاولون أن يكونوا سلطانهم ويمكنوا لأنفسهم ولأنصارهم ولأقاربهم وتضيع مع هذا حقوق العاملين، وجهود المخلصين الذين لا جاء لهم ولا وساطة

وقضية الوطن العزيزة التي هي العمل الأول لهؤلاء جميعاً، والهدف الأول لهؤلاء جميعاً، لإتلقى خلال هذه الظروف المتقلبة والأحزاب الحاكمة والمنصرة عن الحكم إلا قدرأ قليلاً من العناية، قد يكون هذا القدر في الذهاب إلى لندن والمفاوضة على مشروع معاهدة جديدة، ثم سقوط لهذه الوزارة ثم إجراء انتخابات جديدة، ثم قيام لوزارة أخرى وبرلمان آخر ثم مفاوضة أخرى وهكذا دواليك.

والزعماء في خلال هذه الفترة متناذبون متناكرون والصحف في خلال هذه

الآوقات صاحبة هاتجة بالقذف والشتم والسياب واستعمال الألفاظ العجيبة
الغريبة ، والاتهامات المتوالية والتحقيقات المستمرة ، وهي بين إغلاق وإنشاء .
وسجن لمحريها وإفراج .

وتتسع شقة الخلاف بين هؤلاء الزعماء وتمزق الأحزاب إلى أحزاب وكل
حزب من هؤلاء لا يزيد عن أنه هو فرد من أفراد حزب آخر انفصل عنه وجمع
إليه جماعة من أنصاره .

والانجليز من وراء هذا المسرح العجيب ، مسرح الوزارات المتغيرة ،
والحكومات المتعاقبة ، والبرلمانات المتوالية ، والمعاهدات المتشابهة المختلفة ،
وهذا المدوالجزريين هذه المعسكرات وهذه الصحف ، وهذه الصبغات ، يضحكون
ويقهقهون ، فرحين جزلين ، لأنهم نصبوا لمصر مسرحا عجيبا غريبا ، وأوجدوا
لها ممثلين ما يزالون يظهرون ويستترون ، وما تزال يد قصر الدوبارة تحركهم
وتوقفهم ، وترضى عنهم فينعموا بحلال هذا الكرسي وجماله ، ويتصرفون في
الانتخابات فيصبح أنصارهم أعضاء البرلمان فلا يقفون في وجههم إذا قطعوا
أمرا ولا يعارضونهم إذا أبرموا مشروعا ، وهم في هذه الآونة يجيبون طلبات
هؤلاء النواب لأنهم هم الذين أبدؤهم في الأقاليم ، وهم أيضا يجيبون طلبات الانجليز
لأنهم هم الذين قدموهم إلى الحكم وأذاقوهم هذا النعيم ، وما يزال هؤلاء يرجون
لمدهم أن يطول ولدولتهم أن تعمروا وما يزال خصومهم من يراهم يهدمون
بنياتهم ويعملون لسقوطهم ويتقربون إلى قصر الدوبارة حتى يقع الخلاف في
أمر أو تقع الأزيمة في شأن أو يقف الشعب وقفة حازمة أزاء تصرف خاطئ .
فاذا بالنضب الانجليزي ينزع هؤلاء من أبراجهم فيقذف بهم إلى الطرقات
ويقدم فريقا آخر فينال العزة والسؤدد والسلطان فيفعل ما يشاء في خصومه
من تشريد وسجن وتعذيب واضطهاد .

وهكذا ضرب المصري المصري ، واضطهد المصري المصري ، وحارب
المصري المصري ، وفي هذا الاضطهاد والحرب اضطهاد للقضية وحرب للحرية
وقتل للعزة وموت للكرامة .

وبذلك انتقلت القضية الوطنية الحارة الدامية التي ألهمت الدنيا ورجت العالمين في ثورة ١٩١٩ إلى هذا اللون المعجيب الساحر من التناحر على الحكم والتقاتل على الرئاسة والتنازع على الجاه وانتقلت الوطنية المصرية من الجهاد والنضال والكفاح والثورة إلى هذه المناورات والمداورات والمساومات حول الحقوق الواضحة .

، واعتزل هؤلاء الزعماء الشعب في أبراجهم العاجية بعد أن وصلوا إلى أقصى درجات الثراء والغنى والترف ، وضعت نفوسهم عن الجهاد وماتت في أرواحهم معالم الكفاح ، ونظروا إلى الشعب من عل ، لا يباليوه لا يعرفوه إلا عندما يريدون أن يصلوا على أكتافه إلى الحكم أو يوم يضحكون عليه لينالوا منه الأغلبية في الانتخابات ، يومئذ يعدونه بالعود البراقة ، من شق الشرع والمصارف إلى بناء المنازل النظيفة ، إلى تحسين في أسعار القطن والقمح ، إلى تخفيض الإيجارات إلى استيراد للأقمشة والسجاد إلى إصلاح تطرق وإقامة الكبارى والمحطات إلى فتح للدارس وإنشاء المستشفيات فإذا انتهت الانتخابات وقاز النواب نكروا هؤلاء الفلاحين ، وأغلقوا أبوابهم دونهم وتركوا القرية قاعا صفصفا إلى القاهرة والاسكندرية ورأس البر .

وكذلك كان الخطأ البين في أمرين لا يمكن أن يغيبا عن الأذهان لحظة :

- (١) قبول مبدأ النقام والصدقة المفاوضة مع الانجليز بعد الخصومة الواضحة والتسك التام والاصرار الكامل على الحقوق الواضحة والجلال الناجز
- (٢) قبول مبدأ الحكم والدستور والبرلمان وفي البلد جيش الاحتلال وقصر الدريارة وسلطان الانجليز الفعلي .

وهكذا مضت الأيام وصوت أبناء مصطفى وفريد يخفت ويضعف ، وصوت أبناء سعد وثروت وعدلى يعلو وسلطانهم يستطيل ويمتد ، ذلك لأن الحزب الوطني قطع في الأمر فلم يقبل مساومة ولا تفاهما وقال أنه لا مفاوضة إلا بعد الجلاء ورفض أن يشترك في الحكم والجيش المحتل مازال مقيما ، وكان نصيبه الاضطهاد والتشريد في الوقت الذي كان الوطن في أشد الحاجة إليه ، أما الفريق الآخر فقد رضى عنه المستعمر وسلم إليه مقابليد الحكم وظل ينقله إلى الوراثة تارة وإلى الأمام

أخرى ، لأنه رباء في حزب الأمة ، وفي وزارات الاحتلال ولأنه رضى بمبدأ
التفاهم والمفاوضة .

وما يزال هذا الفريق من سنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٤٦ وهو يفترض مؤمناً
بالصدقة متفائلاً بالتفاهم ، يقبل من الانجليز كل ما يعرضونه عليه ، كأن هذه
الحقوق الواضحة لهذا الوطن الحر ، سلعة تباع وتشترى ، أو ديون تسدد على أقساط .
وبعد أن كان الاحتلال الانجليزى غير شرعى ، أقدم الزعماء على توقيع
(معاهدة الشرف والاستقلال) سنة ١٩٣٦ فأصبح الاحتلال شرعياً ومهروراً
صك العبودية كاملاً ، ورضوا باتفاقية ١٨٩٩ التى أعلنت الأمة بطلانها
والتي قسمت وادى النيل إلى قسمين وفرضت إدارة السودان بحكم ثنائى وإقامة
عليه عليه ، ثم انتهزت انجلترا الفرصة السانحة فأخرجت المصريين منه وجردتهم من
كل سلطان ، وأستقلت بإدارته كما تريد وخلقت فيه حزب الأمة مرة أخرى
ولقته نفس المبادئ التى علمتها لحزب الأمة هنا سنة ١٩٠٧ مصر للمصريين ،
السودان للسودانيين ، لا تركيا ولا انجلترا ، لا مصر ولا انجلترا - سودنة السودان
مبدأ الاستفتاء . . . وخلقت لها أنصاراً هناك كما خلقت لها هنا أنصاراً وستسلم
إليهم في القريب مقاليد الأمور هناك لأنهم يقبلون مبدأ التفاهم معها والمطالبة
وقبول الحكم الذاتى والحكم فى ظل الاحتلال .

وبذلك تقدم السودان نحو الانفصال الفعلى ولا حول ولا قوة إلا بالله .
ثم جلت سنة ١٩٤٦ بعد أن انتهت الحرب وأعلنت مصر صبيحتها قوية
مدوية وقد تبين لها أن السر كل السر فى ضياع هذا الربع قرن ، هو هذا الفريق
من الزعماء الذين تحكموا فى الأمة ، وآمنوا بالصدقة ورضوا بالتحالف والمعاهدة
وهذه الأحزاب المتناحرة على كراسى الحكم ، فكفروا بهؤلاء الزعماء ونادوا
بسقوط الحزبية ، وآمنوا بالوحدة والتجرد وطلبوا الجلاء الكامل ووحدة
الوادى . . .

ومن ذلك اليوم الكريم (٢١ مارس ١٩٤٦) بدأت مصر مرحلة جديدة
ستكون خيراً مما سيقفها وستكون فتحاً جديداً لعهد جديد من الحرية الكاملة
والعزة الثابتة .

فهذه المرحلة التي بدأت بثورة ١٩١٩ وانتهت بثورة ١٩٤٦ هي مرحلة (المناورات السياسية بين الأحزاب والحكم) وهي ما نريد أن نوجز تفصيلها في هذا الكتاب ، نستنتج منها (الأحزاب والزعماء) لتجمل ذلك موضوع الرسائل المقبلة ، ويكفي بأن نتكلم هنا عن الثورة ، وتصريح ٢٨ فبراير ، وإنشاء الدستور والبرلمان ، والمفاوضات (١) والمعاهدات وما حول هذه الموضوعات والله المستعان ، نسأله أن يجعلها خالصة لوجهه . وأن يكشف عن الحقائق التي طالما خفيت عن الشعب ، والأسرار التي طالما غطاها ضجيج الحوادث وزخرف القول .



(١) لم يتسع القول من المفاوضات والمعاهدات ولذلك أرجىء هذا البعث إلى الكتاب القادم ، الحاقة الثالثة ، وستشمل

١ — تاريخ الوزارة في مصر منذ ١٩١٩

٢ — الوزارة المصرية بين التشكيل والاستقالة من ١٩٢١ — ١٩٤٦

٣ — سياسة التتويين الأنجليز في مصر

٤ — على موائد المفاوضات ، وذلك كله تحت عنوان (بين لاطوغلي وقصر الدوباره)

مناورات السياسة

— نمزق الأمة ونقتل الوطنية —

أظهر وصف يوصف به هذا العهد الذى بدأ من تصريح ٢٨ فبراير إلى الآن هو (عهد المناورات السياسية والمناورات الحزبية).
فقد جرت انجلترا الآئمة الظالمة الأمة من الجهاد والنضال والخصومة العلنية والكفاح الدائب والإيمان الصادق بالحقوق والاعتناع بالأهداف الوطنية الكاملة والحقوق المؤكدة، من الحرية والجلال ووحدة وادى النيل والعمل لها بكل وسيلة والوقوف فى وجه الظالم المستعمر المحتل الطاغية وقفة الرجولة والمواخذه والتصميم والمعارضة الدائمة - نقلت انجلترا مصر من هذه القوة الإيجابية الحيوية إلى أوضاع جديدة فيها تقام وصداقة وتحالف ومفاوضة وتسليم وأذعان، وضعف عن المعارضة والخصومة وفيها مساومة على الحقوق وتسليم بطلبات الدخيل وأذعان لأمره، وقبول لاذناراته وأوامره وتهديداته ونصائحهم.

ولم نر فى هذه الفترة زعياً أضرب عن الحكم احتجاجاً على تصرف جائر، أو هدد وتوعد، أو أئذر وصمم وهز الدنيا وأشعر الانجليز بقوته أو رجولته ولم نر فى زعماء هذه البلد فى هذا العهد، هذه الصورة الحية القوية الدائبة فى الجهاد والتنقل والكفاح وإذاعة القضية المصرية والدعوة لها فى كل مكان كما كان يفعل مصطفى كامل، ولم نر هذه الصورة المضطهدة المشردة التى لا يرد لها الاضطهاد والتشريد عن الكفاح والنضال فى سبيل حقوق هذا الوطن. والى تمزق عن الحكم وعن المال وتفرق ما ورثت من مال ونضار وتموت على فراش الفقر والجوع والمسغبة كـ محمد فريد... بل رأينا على العكس من ذلك، زعماء يرتفعون من الخسيس فيصبحون أغنياء أثرياء مترفين، أصحاب قصور وضياع وشركات لهم سلطان فى كل مشروع ومصرف يجمعون هذا كله من أموال الأمة يحبون

حياة عالية في أبراج عاجية ويعيشون حياة مترفة غالية لا يلتقون فيها بالشعب مرة واحدة ، بل ينظرون إليه من عل ، لا يؤمنون بالجهاد ولا الكفاح في سبيل الحقوق بل تنقلص الوطنية في أنفسهم حتى تصبح هذا الحكم ووسائل الوصول إليه ، وهذه المفاوضة على اعتبار أنها الطريق الوحيد إلى أخذ الحقوق وتحقيق الأهداف الوطنية .

وكذلك انتقلت القضية من وطنية الجهاد إلى سياسة التغام ومن صراحة الوطنية إلى مناورات السياسة ، ومن الثورة إلى التغام ، ومن الجهاد إلى المفاوضات ، ومن الخصومة إلى الصداقة ، ومن الكفاح إلى التحالف ومن النضال إلى المساومة وأصبحت القضية سلسلة من مناورات السياسة ومؤامرات الأحزاب ومساومات المفاوضة يحيط بها لون الحقد بغيض ، ومن الخصومة عميق ، ومن الفرقة أسيف وبعد أن كان الشعب يقف أمام الانجليز موقف الخصومة ، احتجب الانجليز وراء الزعماء ووجههم إلى ما يريدون ، نخاصم الزعماء الشعب وحطوا واجهاده ، وقتلوا حماسه وضربوه بالرصاص في الميادين باسم المحافظة على الأمن العام ، ووقف الانجليز وراء الصفوف يضحكون ويقهقهون ، هذه قوى البوليس المصرى والجيش المصرى تضرب الشعب المصرى والشباب المصرى ويفتك بعضها ببعض .

أما المفاوضات فهذا باب من الشر غريب ، فتح لنا ، كأن الجلاء والدفاع عن حدود الوطن وانضواء شمال الوادى وجنوبه تحت لواء واحد ، صفقة تباع وتشترى ، وتكون محلا للتغام والمساومة والمناورة ، والعجيب أن الانجليز ما يزالون يعلنون استقلالنا في الوقت الذى ما تزال قواتهم الغاصبة محتلة أرض الوطن ، محاصرة موانئه وقناته ، متحكمة في جنوبه .

فيم نفاوض الانجليز وحقوقنا واضحة ظاهرة ونحن أصحاب هذا الوطن وحاماه إلا أن الانجليز يصرون على أن يربطونا بهم ، والعجيب أنهم كانوا إلى ما قبل هذه الحرب يفرضون علينا معاوتهم في حدود مصر ، أما الآن فهم يفرضون علينا أن نجند أبنائنا لنحصد جيوش الروس يوم يشقك الانجليز معهم في الأفطار المجاورة والمتاخمة .

وانتقل الأمر في المجتمع إلى حياة فردية ، وأخلاق كلها الانانية والشخصية والتكالب على الحياة والانطلاق وراء مفانها المادية ، والتناحر على حطامها ، وقد كان نتيجة ذلك أن أثرى كثير من أفراد الشعب ولكن النتيجة الاجمالية العامة ، أن الأخلاق القوية التي تؤمن بالجهاد والكفاح توارت وراء هذه المعاني المادية وقنع أصحابها بأن يعيشوا في حدود الأوضاع التجارية وحدها ، وطبيعى أن الغنى والثراء ذاته يكون دائماً مدعاة إلى الجبن والخوف ويصرف عن النضال والكفاح ويدفع إلى المسالمة والمناصرة للغاصب والصدّاق معه تحت ضغط الظروف العملية ، فضلاً عما حملت هذه الأوضاع الجديدة معها من صور الحياة البراقة المزخرفة التي تعج بالاثم والفحش والترف والخمر والمرأة المتبرجة . فارتفعت أقدام الشباب إلى هذا المهوى وانقادت وراء هذه الألوان فقتلت في النفوس عزائم الجهاد الماضية ، وفترت روح الكفاح الصارمة ، ودرقت حصانة النضال الطاغية وأصبحت حقوق الوطن وكرامته وعزته لونا من ألوان الكلام المار

وانشغلت الدنيا كلها بالمصالح الشخصية وسارت في ركاب الأحزاب جرياً وراء المنافع الفردية ، وتقلت بين هذا الحزب وذاك تبعاً لوصوله إلى الحكم ، أو انصراف الحكم عنه .

وخلقت هناك طبقة من الصعاليك والأفاكين والمرزقة ، لاهم لهم إلا الجرى في ركاب الأحزاب والزعماء يصفقون ويهللون ويهتفون ويملاون الكراسي في الحفلات ويرابطون على المحطات ، وينتظرون في طريق الركب السائر بين بيت الزعيم وبين لاظوغلى . . . وفي طريق المساجد خارج الحكم ، وينتفع بهذه الطبقة في الانتخابات للتصفيق والتهليل والتصويت عشرات المرات بعشرات الأسماء لإنجاح النائب المختار

واصطنع الزعماء الطلبة في المدارس والجامعات وقربوهم واستعانوا بهم على إسقاط الوزارات وتشكيل الوزارات وإثارة الشعب والاضراب والمظاهرات ، حتى أصبح للطلبة سلطاناً على الأساتذة ومطالب في الإمتحانات والبرامج والدرجات

واستعانت الشركات بالزعماء ووضعهم في صفوف مجالس إدارتها وفرضت لهم الرواتب الضخمة ليكونوا لها أنصارا في أيام الحكم واستفادت الشركات من وراء هذه المناورات امتيازات ضخمة وسلطانا على أصحاب البلاد وعلى الشعب بتأييد الحكام والزعماء .

وحكم قصر الدوبارة من وراء ستار (لاظوغلى) وانتقاد الوزراء والحكام نه انقيادا عجيبا وكانوا لا يتوانون لحظة عن أمره وإشارته ولا يحاولون مطلقا مخاصمته ومعارضته لأنه هو الذى إذا رضى اقتربوا من سلطان الوزارة وإذا غضب أبعدوا .

واستفحلت الحزبية في مصر بعد تبلور الوفد المصرى الذى شكل (للتغام) مع الانجليز في (حل) القضية المصرية إلى حزبين أحدهم حزب الوفد والآخر حزب الأحرار ثم تفشت روح الخلاف والخداع والخصومة والنفعية والفردية فانفصل فريق أثر فريق كل منهما يدعو لنفسه باسم حزب جديد حتى غصت البلد بالأحزاب ، فهل أفادت هذه الأحزاب مصر شيئا ، إلا أنها مزقت الشعب وفرقتة وملأت قلبه خصومة وعنادا ، أعدته بالتدريب العملى على السباب والحقد والخصومة والعداء والانتقام بالحق أو بالباطل وتسفيه أعمال الخصم سواء كانت خاطئة أم سليمة ، ضارة أم نافعة ، وخلقت فيه روحا من النفعية ، بناصر الشعب النائب حتى ينجح لتقضى مصالحهم ، ويناصر النواب الحزب ليفوز بالحكم لينالوا مآربهم ، وهبطت الآمال العليا ، والمطامح العليا ، والمطالب العليا ، من سماء المجد والجهاد والبرامة والطهارة والتجرد إلى حضيض المصلحة والمنفعة والغرض الأسيف الضائع . . .

وبذلك ذلت الأخلاق ، وأصبحت المعاملات كلها تقدم بلون عجيب من النفاق والمغالطة والمسامرة والتضليل والغش والخداع ، وهذه هي نفس الألوان التى تسعت بها أجواء السياسة والمجتمع والحياة المصرية جميعا (١) وانصرف (الزعماء) عن تربية الشعب وإعداد الأعداد الروحية

والعملى إلى التشكيلات السياسية السورية التى تجهز للنجاح فى الانتخابات والظفر بكراسى البرلمان من وراء ذلك الحكم طبعا ، واستتبع ذلك أن ينصرف الناس عن المعانى الوطنية العليا العامة إلى المعانى الحزبية الشخصية الخاصة ، وأن تكون بضاعة السياسيين هذه المهارات التى لا أول لها ولا آخر ، ولا تتفق مع دين أو خلق ، ولا تفيد قضية ولاوطنا ، وتكررت كلمات الصداقة والمحالفة والمصالح المشتركة والتعاون مع الحليفتين إلى آخر هذه العبارات ، عبارات المجاملة والرياء التى قتلت الوطنية وخدعت الشعب عن الحق ، وصرفته عن الاعداد والاستعداد ، وكانت تلك نقطة التحول فى السياسة المصرية)

* * *

وبذلك هربت مصر من ميادين العمل الجدى إلى الألفاظ المعسولة والأقوال التافهة الفارغة واقتنعت بأن المفاوضات والمظاهرات والمقالات هى أبواب الجهاد فى سبيل الحرية .

وانتقلت مصر (بفضل) زعمائها من الخصومة العلنية والكفاح المنظم والعداء الواضح للانجليز إلى سياسة مراوغة باسم الصداقة والتحالف والود والتفاهم ، وسميت هذه الخطة الجديدة التى سنها زعماء ما بعد ثورة ١٩١٩ من أول سعد زغلول وعدلى وثروت إلى اليوم باسم اللباقة السياسية والكياسة الدبلوماسية وهى صورة من صور الخنوع والخضوع للقاصب كلها مناورات ومداورات ومؤامرات وممارات ، تحمل فى الظاهر صورة النضال مغالطة لهذا الشعب وتضليلة له .

وقد كان لتكرار دعوى التحالف والصداقة مع (الخليفة ١) وسيلة نفسانية استعمارية عجيبة يراد بها أن تموت فى النفوس معانى الخصومة والكراهة والعداء لانجلترا ، ومدارة لظلمها وكيدها ودهسها وتمزيقها للأمة ، وسيطرتها وإجرامها ، وفرض أوضاعها وطلقاتها على مصر فأصبح فى النفوس شبه سلام أو أمان . وأخذت الناس غمرات الأعمال ، وتقلبات الحوادث عن البقطة التامة للاتجاه المنحدر إلى الطريق المظلم الأسود .

وأصبحت كلمات الزعماء للشعب كلمات مينة فائزة مخادعة ، لاحقائق ورائها ، ولا نتائج عملية ، وتبلورت هذه الأوضاع كلها والعلاقة بين الزعماء والعلاقة بين الزعماء والانجليز والعلاقة بينهما وبين الشعب ، هي السعى إلى الحكم ، والاستقرار فيه ، ومناوئة الحاكمين ومحاولة إسقاطهم . . . والآمة المسكينة تستغل لهذا وتقاد إليه . . .

وأصبحت كلمة الجهاد لونا من الشعب ، وهانت هوانا عجيبا في عهد قريب عن أيام الثورة والجهاد حتى يقول سعد زغلول في البرلمان سنة ١٩٢٤ رداً على الأستاذ عبد الرحمن الرافعي ، هل عندكم تجريده ؟ وفي هذا معنى التسليم والاستسلام المطلق للانجليز .

(كانت (١) الآمة شعباً لازعماء له ، ولقد كان جاداً محققاً يوم انطلقت حناجر الصغار والكبار منه ، الاستقلال التام أو الموت الزؤام . ولكنه نكب بزعماء ورؤساء وكبراء نشأوا في أحضان الاستعمار وشربوا من معين القاصيين ودرجوا على أساليبهم ، وعجبوا بصدائهم وأحسنوا الظن بهم ، وتبوأوا المناصب الحكومية واحتلوا مراكز القيادة الشعبية وأداروا الأمور بهذه العقول المقلدة ، والنفوس الخائفة والقواعد الفاسدة فكانوا نكبة هذا الشعب والحاجز الحصين بينه وبين حقوقه الوطنية ومطالبه القومية)

وبسلطان هؤلاء المصريين كتبت مشاعر المصريين ، وصودرت حرياتهم وقضت اجتماعاتهم وحطمت حركاتهم الوطنية المخلصة ، فكان هؤلاء الزعماء صنائع الاحتلال ، صنائع الانجليز ، وأخلص أعوانه ، ويده الباطشة .

وكذلك اتضح مبلغ الخطأ البالغ في قبول الاستقلال ، في ظل هذا الاحتلال وهذه الأهداف الاستعمارية الانجليزية المركزة ، وتعذر بذلك قيام حكومة صالحة في ظل هذا الوضع ، وكذلك تعذر أن تأخذ الحكومة حقها الكامل في تنفيذ دستورها وانتخاب برلمانيها واستكمال نواحي الحرية والسلامة والسعادة في المجتمع أو مبادئ الاقتصاد أو الدفاع أو التعليم فقد لونه الاستعمار بلونه وجعله صورة براقة ليس ورائها معنى من معاني القوة أو الكمال أو الحرية

ولكن . . .

الامل قد فتحت براعمه ، والقلوب قد عمرتها روح جديدة شذبة من
الوعى الاسلامى الكامل فاستيقظت وحييت وأقبلت تسعى إلى مجدها وإلى حريتها
وإلى عزتها .

ونفضت من فوق رأسها تراب هذا الريع قرن من السنين العجاف التى
خدر فيها الغاصب عقول الشعب وقلوب الامة ، وخلق لنفسه هذه الطبقة من الزعماء
والكبراء وذوى الرأى ، واصطفاهم واصطنعهم وأسبغ عليهم النعم والحلل
والألقاب وأقبلت عليهم الدنيا بثرائها وأمجادها الفردية الشخصية فرفعتهم إلى
أبراج عاجية عالية لا يرون منها ما يقاسى هذا الشعب من فقر وما يحسن من
شغب وما يقاسى من تضور وجوع .

وقامت فى الامة هيئات نامضة مغلصة تدعو إلى العمل المنتج الصامت
المركز ، بأسلوب الوطنى المتجرد لا بطريقة السياسى المحترف ، (يعملون لإصلاح
الحكم لا للحكم ، وللمقاومة المستعمر للحصول على الحرية وتركيز منهاج ودعوة
لا لتجديد شخص أو حزب أو هيئة ، يعملون للوحدة وضم الجهود وتقدير
الأعمال ، لا لتريق الامة وتحطيم كل عمل من الخصم كما تفعل الأحزاب)

نعم استفاقت الامة بعد أن خدعت هذا الوقت الطويل ، بالألفاظ الرنانة
والكلمات البراقة وهتفت وشفقت وراء الزعماء وقد عقدوا فيهم الامل تخيروه
ووثقوا بأنهم سيعملون لتحقيق آمال الامة فضاعت الثقة .

وقامت فى الامة من جديد روح حية قوية ، نيرة مستنيرة ، هضينة هشتعلة
بأنوار الربانى ، وبالإيمان الإلهى ، وبالتقدير الصحيح ، والوزن الصادق للأمور
نعم قامت من جديد (دولة المساجد) ونبتت فى القلوب (وطنية الربانيين)

ونشأت هذه الطبقة الجديدة التى انبثت فى الشعب كله من النماذج العالية
الصادقة ، هذه النماذج التى ليست كنماذج سنة ١٩١٩ بل هى منها فى الوطنية
والحماسة والقوة وتزيد عنها فى الإيمان والاقتناع والتركيز ، وتمتاز عنها بالاخلاص

فه وحده ، وحب الفداء والتضحية ، ولن تقع هذه الطبقة الجديدة ، ولا هذه الدولة الجديدة فيما وقع فيها سابقها من التسليم للزعماء والايمن بهم ، بل ستقود هي الوطن قيادة شعبية صحيحة ، إلى أهدافه الكاملة ، وقد أضافت هذه الدولة الجديدة إلى الوعي الوطني الذي استفاق سنة ١٩١٩ وعيا إسلاميا لتشكل الرسالة وتتمم الحلقة .

وقد آمنت هذه الطبقة الجديدة بالحقائق صريحة لا التواء فيها ولا إعوجاج فهي لا تؤمن بصدقة الانجليز إلا إذا وقف الانجليز من حقوقها الكاملة وقفة الاحترام ، أما ماداموا ينادوننا ويتعسفون معنا فلا تؤمن بغير خصومتهم ونضالهم وجهادهم بكل أسلوب ، كما تكفر هذه الطبقة بالمناورات السياسية والمساومات والمداورات في المفاوضات والمخالفات وتعود مرة أخرى إلى صراحة الوطنية وإلى الجهاد والنضال في تدرج منظم ، وتبدأ بالجهاد السلي ثم تثنى بالجهاد الإيجابي .

والمعجب أن روح الوطنية التي غلفت بالألوان الجديدة ، البراقة المزخرفة من النفعية والمادة والمرأة والخمر ، قد نفقت عنها هذا كله وانطلقت مؤمنة صادقة عاملة ، وكفرت هذه الطبقة بزعامة هؤلاء الزعماء ، وكفرت بالحزبية وانصرفت عنهم وعنها إلى جهاد شعبي صادق يكون فيه هؤلاء الزعماء منقادين للشعب لا قادة له ، ويكونون في آخر الصفوف لا في أولها ولا ينسون لهم أنهم هم الذين قتلوا الشعور الوطني خلال هذا الربع قرن ، وأنهم كانوا دائما (يعملون على كتب مشاعره وقتل عواطفه وكبح إدارته زخنت حرته باسم حماية القانون تارة وبمحبة المحافظة على الأمن والنظام تارة أخرى) .

وقد استفحل الشعور الوطني وحى واستيقظ يقظة عارمة صادقة ومهما حاول الحكام ومن ورائهم من الناصبين الضغط على هذا الشعور فانه فوارو من المصلحة التنفيس عنه (فلم يعد الشعور الوطني مقصوراً على طبقة دون طبقة أو مختصاً بجماعة دون جماعة فالطلاب والعمال والموظفون وغير الموظفين سواء في هذا الشعور بل إنى أذكر لهم عن يقين أن هذا الشعور الغامر قد جرف

ضباط الجيش وجنوده وضباط البوليس ورجاله ولم تعد تستطيع قوة بعد ذلك أن تكسر حدته أو تطفى جذوته (١) .

(إلا أن هذا الشعور الآن من نوع جديد ولون جديد فهو شعور امتزج به حب الوطن برسالة الاسلام ، والجهاد في سبيل البلاد بالجهاد في سبيل الاعتقاد وأخلص أهله النية لله بأذلين فادين مضحين ، وقد انصهرت النفوس وأذابت فيها حرارة الايمان كل معاني الوصولين والتفعين وأصبح الواحد من هؤلاء المواطنين الآن يستعذب الموت ويتشاه ، كما يستعذب أهل الحياة الدنيا طعم الحياة وستكشف الحوادث والأيام عن الفارق البعيد بين احلام الأندية وعباد المساجد وبين وطنية السياسيين ووطنية الربانيين وإن يقف شيء في سبيل العاملين والمجاهدين) .

ومعنى هذا كله وخلاصته أن هذا الربع قرن الذي ضاع بين هذه المناورات السياسية بين الزعماء والأحزاب والانجليز ستكون له نتيجة ايجابية حاسمة هي أن الأمة ستقف من حقوقها وقفة النضال والكفاح والجهاد والصبر على الشدائد والياساء وهي تعلم أن الانجليز والحكومات والأحزاب ستحارب العاملين وستتكاتف لتقف منهم وقفة الخصومة . . .

وسيطول النضال وسيشتد ولكن الغلبة للعاملين المخلصين والنصر لهم . سيكون منذ اليوم عداء صريح ، وخصومة معلنة ، ومقاومة سليمة ، واعداد كامل وجهاد له تبعاته في كل ميادين الاقتصاد والثقافة والتربية والوطنية ولن تطمئن جنوب المجاهدين الا يوم تتحقق الحرية الكاملة وفي ساحات الاستشهاد متسع للجميع .

الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ وأعلان الحماية

في ٤ - ٨ - ١٩١٤ أعلنت إنجلترا الحرب ، وأصدرت قراراً تضع فيه الموانئ المصرية والأراضي المصرية تحت تصرفها جاء فيه .
(القوات البحرية والحرية التابعة (لانجلترا) يجوز لها أن تباشر جميع حقوق الحرب في الموانئ المصرية وفي أرض القطر المصري وكل ما يجري الاستحواذ عليه في الموانئ من سفن حربية ومراكب تجارية أو بضائع بحوزة إحالة الظرف فيه إلى محاكم الغنائم الانجليزية) .

ومن ذلك اليوم أصبحت مصر معسكراً للجيش الهندية التي بدأت ترد إلى مصر ، وأعلنت الرقابة على البرقيات وأعلن (الموراتوريوم) لاضطراب الحالة الاقتصادية واشتدت الرقابة على الصحف وقنشت إداراتها ثم أعلنت الأحكام العرفية في ٢ - ١١ - ١٩١٤ وما ذكرت إنجلترا في بيانها (أن السلطة التي تعمل تحت إشرافي بمعرفة الإدارة العسكرية ليس الغرض منها الحلول محل الإدارة الملكية بل تعتبر تكيلا لها) ثم قطعت العلاقات بين إنجلترا والدولة العلية

(٢) وهكذا أخذت قيادة الجيوش الانجليزية في مصر التي هي تتولى إصدار المنشورات وتخطب الشعب دون حكومته المحكمة ، وفي حاله غياب الخديو في تركيا إلى ما بعد قطع العلاقات بين إنجلترا وتركيا .

وقد فصلت إنجلترا هذه السلطة بخطابها في ٩ - ١١ - ١٩١٤ إلى رئيس مجلس النظار .

قالت (وترون ... أن السلطة فيما يتعلق بالوسائل الحربية اللازمة للدفاع عن القطر المصري والدوائر التي يستدعيها هذا الدفاع أصبحت منحصرة في يد القائد العام ...)

(٣) ثم ظهرت بعد ذلك نية انجلترا في ابعاد الخديو ومدى رغبتها في سلخ مصر عن تركيا وتغيير نظام البلاد وذلك باعلانها الحماية

(٤) في صبيحة ١٨ - ١٢ - ١٩١٤ أعلنت الحماية على مصر بمشور هذا بعض ما جاء به

« يعلن ناظر الخارجية لدى حكومة .. (انجلترا) إنه بالنظر إلى حالة الحرب التي سببها عمل تركيا قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته وأصبحت من الآن فصاعدا من البلاد المشمولة بالحماية الانجليزية ، وبذلك قد زالت سيادة تركيا عن مصر واستخذت حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها ومصالحها (٥) ثم قفت على ذلك بخلع الخديو عباس وتولية السلطان حسين بمشور إنجليزي أيضا

« يعلن ناظر الخارجية لدى حكومة ... (إنجلترا) إنه بالنظر لاقدام سمو الخديو عباس حلي باشا خديو مصر السابق على الانضمام لأعداء البلد ، قد رأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوية ، وقد عرض هذا المنصب السامي مع لقب سلطان مصر على سمو الأمير حسين كامل أكبر الأمراء الموجودين من سلالة محمد علي فقبله (

(٦) وفي هذا المنشور الانجليزي كثير من الأكاذيب فقد كان السبب الأول في خلع عباس هو شعور المحتل بمدى وطنيته وتخوفهم من موقفه معهم في إبان الحرب وقد استقدم الانجليز من الهند أغا خان زعيم الطائفة الاسماعيلية للهند ليهددوا به فوصل في اليوم الذي تولى فيه السلطان حسين الملك ومن الأسف المراجع أن تولية السلطان حسين ، بل تولية السلطان فؤاد كانتا بتبليغ الحاكم العسكري الانجليزي في مصر ؟

(٧) وبما جاء في تبليغ السلطان حسين ما يأتي :

« لدى حكومة جلالته الملك أدلة وأقراة على أن سمو عباس حلي باشا خديو مصر السابق قد انضم انضماما قطعياً إلى أعداء جلالته منذ أول نشوب الحرب مع ألمانيا

وبذلك تكون الحقوق التي كانت لسلطان تركيا والخديو السابق قد سقطت
عنهما وآلت إلى جلالة .. ولما كان قد سبق للحكومة جلالة الملك إنها أعلنت
بلسان قائد جيوش جلالة في مصر إنها أخذت على عاتقها وحدها مسئولية الدفاع
عن القطر المصري في الحرب الحاضرة قد أصبح من الضروري الآن وضع
شكل للحكومة التي ستحكم البلاد بعد تحريرها من حقوق السيادة وجميع الحقوق
الأخرى التي كانت تدعيها الحكومة العثمانية ، فحكومة جلالة الملك تعتبر وديعة
تحت يدها لسكان القطر المصري جميع الحقوق التي آلت إليها بالصيغة المذكورة
وكذلك جميع الحقوق التي استعملتها في البلاد في سني الإصلاح الثلاثة الماضية
وقد رأت حكومة جلالة إن أفضل وسيلة لقيام إنجلترا بالمسئولية التي
عليها نحو مصر أن تعلن الحماية إعلانا صريحا وأن تكون حكومة البلاد تحت هذه
الحماية بيد أمير من أمراء العائلة الخديوية طبقا لنظام ورائي يقرر فيما بعد بناء
على هذا قد كلفت حكومة جلالة الملك أن أبلغ سموكم أنه بالنظر لسن سموكم
وخبرتكم قد رؤى في سموكم أكبر الأمراء من سلالة محمد علي أهلية لتقلد منصب
الخديوية مع لقب سلطان مصر

(٨) والواقع أننا في حاجة لأن نكرر ماذكرة شفيق باشا في الحوليات
من أن هذه الوديعة التي وضعناها لإنجلترا تحت يدها لسكان مصر لم ترد إليهم ،
وقد كانت طوال هذه السنين المطلب الوحيد والأمل الأكبر الذي يجاهد الشعب
في سبيل الحصول عليه بعد هذه التضحية البالغة في الحرب الكبرى الأولى
والثانية مع الحلفاء.

ثورة سنة ١٩١٩ وما بعدها^(١)

الموارد والدراسات

(١) المعتمد الانجليزى فى مصر هو الحاكم الفعلى للبلاد . السيطرة الانجليزية الكاملة والاستبداد بكل شئون البلاد

(٢) اعلان الحماية فى ١٨ / ١٢ / ١٩١٤ - وتبعها اعلان الاحكام العرفية ووضع الرقابة على الصحف ، و اعلان قانون التجمر فى ٨ أكتوبر سنة ١٩١٤ ، هذا القانون العجيب الذى يعتبر كل اجتماع من خمسة أشخاص فى طريق ما أوفى محل عمومى تجمرأ ، يقضى بالحبس لمدة ستة أشهر .

(٣) ظلت الحماية المقنعة من ١١ يوليه ١٨٨٢ - ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٤ والحماية السافرة إلى ٢٢ فبراير ١٩٢٢

(٤) خلع الخديو عباس الثانى ، وتوليه السلطان حسين كامل فى ١٩ / ١٢ سنة ١٩١٤ بتبليغ من الحكومة الانجليزية وقد قبل هذا التبليغ بالسخط من الشعب كله ، إذا رأى الناس أن ينتصب السلطان فى مصر قد تم بخطاب من المعتمد الانجليزى ؟

(٥) سعد زغلول أول المختفين بأول مندوب انجليزى فى ظل الحماية (هنرى مكماهون) إذ استقبله على محطة العاصمة فى ٩ / ١ / ١٩١٥ وقال إن دلائل الخير بادية على وجهه

(٦) اتجه الوضع السياسى فى مصر إلى ترضية الناس عن كراهيتها واشتركت حكومات الاحتلال مع دار الحماية فى تدعيم هذا الانقلاب بإحاطة الوزراء بالالقباب وإغداقها على الأعيان والوجهاء والموظفين .

(٧) نوالى الاضطهاد على الوطنيين ، وكانت الهيئة الوطنية العاملة هي

(١) استعنا فى هذا الفصل بدراسات مخرقة أهمها بحوث الأستاذ عبد الرحمن الرافى

الحزب الوطنى الذى لاقى زعمائه وقادته كثيرا من العنت وطوردوا طويلا
وصودرت صحفهم ونفى الكثير منهم وسجن أغلبهم

(٨) أعلن طلبية الحقوق السخط على الحماية بالامتناع عن الحضور إلى
المعهد يوم زيارة السلطان حسين .

(٩) عطلت الجمعية التشريعية وتدفع الجنود الانجليز على مصر وحشدت
السلطة السلطة العسكرية الانجليزية المال حتى بلغ عددهم نيفا ومليون عامل
وجمع الرديف وكان حوالى ١٢ ألف مجند ، وجمعت الدواب والمؤن

(١٠) وقع الجفاء بين السلطان حسين والمندوب الانجليزى (مكاهون)
فغيرته الحكومة الانجليزية باخر (ونجت) وقد سيطر المندوب الجديد
سيطرة كاملة على شئون الحكومة دون معارضة أو رقيب .

(١١) توفى السلطان حسين وولى العرش السلطان أحمد فؤاد فى ٩ / ١٠
سنة ١٩١٧ بقبليخ انجليزى أيضا وكذلك جعلت انجلترا نفسها مصدر ولاية العرش
(١٢) جاء فى خطاب السلطان إلى رشدى باشا بتأليف الوزارة (وقد تولينا
بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطنة المصرية) وهذا يعترف ولى الأمر
بأن الدولة الحامية هى صاحبة الأمر فى تولى العرش فى مصر ؟

(١٣) أقرضت مصر انجلترا مبلغ ٣ ملايين جنيه ونصف ، ثم قررت
إعفائها من دفعها وجعلها (منحة) إعترافا بمجملها (لأنها حمت مصر من خطر
الغارات) وهذا القرار المعجيب من مجلس الوزراء يدل على مدى الحالة النفسية
لرجال الحكم بالنسبة للاحتلال والحماية

٥ الأسباب والتأج

(١) ليس اعتقال سعد ولا يمكن أن يكون ، هو سبب الثروة ، فان سعد
اعتقل فى المرة الثانية ولم تقم للأفراج عنه أية ثورة ، ولا يمكن أن يغزى قيام
الثورة إلى جهود زعيم أو إلى سعد نفسه فان الأحداث تفاقمت على مصر
بعد ذلك فلم يستطيع سعد أن يقود الشعب مرة ؟ وإنما كانت الثورة نتيجة

لشعور الوطنى اليقظ والدواعى الطبيعية التى قاضت بها النفوس فأصبحت الثورة حتما مجابا ونتيجة ضرورية

(٢) استمرت الأحكام العرفية ٤ سنوات متوالية لجمعت إلى البلاد بلاءا من ثلاث ألوان (إحتلال - حماية - أحكام عرفية)

وكانت نتيجة الأحكام العرفية (١) رقابة على الصحف (٢) منع للاجتماعات (٣) اعتقالات للأحرار (٤) مجن ونفى دون تحقيق (٥) تجنيد للفلاحين والعمال (٦) جمع الأموال قسراً للصليب الأحمر الانجليزى (٧) أنارات فى شكل تبرعات تحصل بالوعيد والتهديد والضغط .

(٣) مبادئه ولسن نيهت الأذهان إلى حقوق الشعب وحرية وزادت جذوته وقدة ولها .

(٤) لا يمكن لمؤرخ أن ينكر جهاد (مصطفى وفريد) منذ فجر الإحتلال (١٨٩٠ - ١٩١٩) وما لقي هذين الزعيمين من اضطهاد وعنت إذ كانا فى أشد أوقات الإحتلال شدة وفى أشد الأيام ظلاما ، فضلا عن أن مناهجها سياسيا - كان مناهجا صادقا صارما ، هو مناهج الجلاء الواضح الناجز قبل كل تقام ودون أن يكون مقابلة معاهدة أو مخالفة . وقد أدى ذلك إلى أن ينشئ كرومر (حزب الأمة) ليكون حزبا وسطا بين الشدة واللين ، أى حزب مساومة وصداقة وثقة بالانجليز ، وفى حزب الأمة (مدرسة الانجليز) ترى زعماء ما بعد ثورة ١٩١٩ الذين ألفوا الأحزاب المصرية فيما بعد ، هذه الأحزاب الباقية إلى اليوم والتى ما تزال يدها مقاليد الأمور منذ سنة ١٩٣٢ ، أما أولئك الصادقون الصامدون الذين قطعوا الأمر ولم يقبلوا المساومة فى حقوق الوطن فقد استبعدوا استبعادا كليا عن أن يشتركوا فى الأحداث الجديدة التى تلت الثورة .

هذه الأحزاب التى كانت النتيجة الطبيعية للوضع الانجليزى الجديد ، هى التى تقاضت فى مشروع ملز وقامت بالمناورات السياسية الى استئلتها باصدار تصريح ٢٨ فبراير وإعلان الاستقلال بالتحفظات ووضع الدستور وإنشاء البرلمان

والعجيب أن أى مقارنة بسيطة بين محمد فريد مثلاً وبين أى زعيم من زعماء أعقاب الثورة يبين لنا مدى الفارق البعيد بين العمل للمثل الأعلى والكفاح للوطنية الصادقة . وبين التمسح بالوطنية وإدعائها ، محمد فريد هذا الرجل الذى هجر وظيفته ، ثم هجر المحاماة ، ثم أنفق كل ما كان يملك فى سبيل قضية وطنه ، ونفى وغرب ، ولم يثنه ذلك عن العمل لوطنه وسأومه الانجليز ليخفف من حملاته ويعود إلى وطنه فرفض بآباء وشعم ، وظل مغترباً حتى اشتد عليه الداء . فأت غريباً ، هذا الرجل الذى ضحى ثروته كلها ورضى هذا الموقف الشريف ليس له مثال فى زعماء هذه الأيام مطلقاً فقد كان غنياً فافتقر حتى أكله الداء ، أما الزعماء الذين ورثوا مجد ثوره ١٩١٩ فقد اغتروا وأثروا وأصبحوا أصحاب رؤوس الأموال الضخمة والأطيان والضبايع والعمارات ، لم تعرف لهم تضحية ولم يسجن منهم أحد ، ولم يرفض أحد منهم منصب ، ولم ينفى أحد منهم لأنه وقف وقفة مشرقة فى صالح الوطن ، بل على العكس من ذلك وقدهم الترف وأعزتهم المناصب وتنازعوا فيما بينهم على هذا الميراث ، ميراث الدم المسفوك فى ثورة ١٩١٩ .

ولقد أقر سعد فى ١٩ - ٩ - ١٩٢٣ بذلك راغماً حيث قال (لست خالق هذه النهضة - لا أقول ذلك ولا أدعيه ، بل لا اتصوره ، ، إنما نهضتكم قديمة تبندى من عهد محمد على ، وللحركة العراية فضل فيها وكذلك السيد جمال واتباعه وتلاميذه أثر كبير) والرحوم مصطفى كامل فضل عزيز أيضاً وكذلك المرحوم محمد فريد بك ، وما كان له أن يقول غير هذا ، ولو قال غيره لكذبة التاريخ .

(هـ) إن ما وصل إليه سعد من نفوذ كان بفضل الثورة لأن الشعب كان يعتقد أنه وضع قضيته فى الأيدى التى تدافع عنها وترعاها ، هذه القضية الواضحة الصريحة التى تلخص فى الجلاء الكامل والحرية الكاملة ووحدة وادى النيل ولكن ثقة الشعب لم تتحقق إذ تبين أن الجلاء والحرية موضع مساومة ومحل تفاهم ومفاوضة أشبه بالاستجداء .

فضلاً عما قرره سعد من إبعاد مسأله السودان استبعاداً تاماً عن المحادثات ،

وما كان أغنانا عن المحادثات والمفاوضات ودم الشباب لما يحف بعده، والأمهات الكللى مازان يفتحن ويلبسن السواء والشعب مازال قويا بضطرم بالحوية العارمة ، راغبا إلى مزيد من التضحية والفداء ، ولن ينسى التاريخ اسعداً بدأ أنه أول من فضل مسألة السودان عن القضية في أول محادثة مع إنجلترا سنة ١٩٢٠ فأصبح هذا مبدأ خطيراً توالى آثاره السيئة ونتائج الضارة حتى وصلت الحالة في السودان إلى ما وصلت إليه الآن واستطاع الانجليز أن يوغروا صدور السودانيين على إخوانهم أبناء الشمال ويخلقون (حزب الأمة) هناك ويدعون إلى الانفصال والسودان للسودانيين والاستفتاء .

(٦) كان من عوامل الثورة مشروع (وليم برونيك) الخاص بانشاء مجلس نواب مصرى ، ومجلس شيوخ خليط من المصريين والأجانب على أن تكون الهيئة التشريعية العليا مختلطة الجلسيات وغالبها أجنبية .

(٧) هبطت أسعار القطن هبوطاً جسيماً في موسم ١٩١٤ وربط الجنيه المصرى بالجنيه الانجليزى وقررت الحكومة تخفيض مساحة زراعة القطن وزيادة مساحة زراعة الحبوب .

(٨) ايقظت الاقلام أفكار الناس وأثارت قلوبهم بالحاس والايمان بالحقوق الوطنية ودفعتهم إلى النضال الدفاع عنها وكان للخطب والقصائد والمقالات التى كتبها الأحرار من الوطنيين أكبر الأثر فى التعبير عن آمال الشعب والأمة .

(٩) الطائفة التى انبرت لإعلان الشعور المصرى كانت لا تؤمن بالخصومة لإنجلترا ، ولا العداء لاستعمارها البغيض ولا تنكرها للاحتلال ، لأنها كانت صنعت فى بوثقته ، واشتركت فى حكوماته ، وعلى رأسها سعد زعلول الذى كان وزيراً فى وزارة مصطفى فهمى وبطرس غالى وهما أعدى أعداء القضية الوطنية وأصدق أصدقاء الاحتلال . وبطرس غالى هو الذى رأس محكمة دنشواى وهو الذى وقع اتفاقية ١٨٩٩ مع كرومر سرافكانت سببه وعاراً فى حين مصر ، لأنها اعترفت لإنجلترا بحقوق فى السيطرة على السودان ، ومصطفى فهمى هو الذى أعان المحتلين وكان الصديق الأول لكرومر ، وكان سعد صهره ، وكان

لسكرور الفضل الاول في اختيار سعد وزيراً وقد مدحها لورد كرومر في حفلة وداعه دون المصريين جميعا الذين رماهم بالجهل والبغاء والعمى .
أما الذين كانوا يؤمنون بالحزم في حقوق الوطن والقطع في مطالبه فقد استبعدوا عن هذا الميدان مع أن أرواحهم الملتهية هي التي ايقظت إيمان الشعب بحقوق وطنه في هذه السنين العجاف والأيام السوء ، وبالألأسف شقت هؤلاء في أوروبا وعمرت بهم المعاقل والسجون ورفضت انجلترا أن تستمع لهم ، ورضيت أن تستمع لآخرين يعرفون شيئاً إسمه .

التفاهم . . .

والتفاهم هنا ، وفي تقدير الوطنيين المخلصين ، معناه المساومة ، وقد كان هؤلاء ممن درجوا في بيئة الاحتلال وفي أكناف حزب الأمة ، الحزب الذي صنعه الانجليز ليناوى الحزب الوطنى وما دامت (القاعدة) في هذه النهضة الجديدة التي تزعمها وادعاهها سعد وثروت وعدلى وغيرهم هي التفاهم والمساومة والمحادثة والمفاوضة والآخذ والرد في حقوق الوطن الواضحة ، فالنتائج الطبيعية معروفة ، هي أن تظل قضية الوطن على أيدي هذه المدرسة موضع تفاهم ومساومة .. وتكون النتيجة الحتمية أيضاً هي أن تقتل ربع قرن من حياة الوطن الغالبة في فضال داخلي وخصومة حزبية وتمزيق لوحدة الوطن وتفاهم ومفاوضات مع انجلترا العاصبة الأفغوانية الأساليب ولا نصل إلى شيء ما ، إلا هذا الصك العجيب الذي فرض وجود الاحتلال الدائم والارتباط الدائم والتمزيق الدائم لوحدة وادى النيل الذي قبله زعماء المدرسة سنة ١٩٣٦ ووقعه آخرون منهم سنة ١٩٤٦ .

فقد كانت هذه المعاهدات محالفات عسكرية مع انجلترا . اعترفت بشرعية الاحتلال وأيدت اتفاقية ١٨٩٩ الباطلة بل وتعدتها إلى تمزيق وحدة وادى النيل بإعطاء السودان حقه في الانفصال وتقرير المصير وتحقيق الحلم الانجليزى القديم (سودنة السودان) أى فصلة عن مصر واحتلاله باسم الحكم الذاتى

ولوقامت النهضة ، نهضة الحرية ، نهضة ١٩١٩ على الاسس التي دعا إليها الشعب وعلى المطالب التي قررها وجاهد في سبيلها وضرب لأجلها برصاص الانجليز ، وخرج الأرض بدمائه الطاهرة وهي الجلاء والوحدة والتخلص من نير الاحتلال جملة ، قبل أى مفاوضة أو مخالفة لتحقيق الوطن ذلك كله ، ولكن ورثة مجد ثورة ١٩١٩ كانوا يؤمنون بالصدقة الانجليزية ويقبلون ما يرضى به الانجليز ، فرضوا بالمحادثات وقبلوا التفاهم على أساس الصداقة والمخالفة مع الدول العظمى كما أسموها وقتئذ .

والنتائج الطبيعية معروفة ، أنها لم تكن شيئا مطلقا بما أراده الشعب وضحي لأجله ، ولم يكن الشعب عابثا ولا خياليا حين يطلب الجلاء ، بل كان محقا ، فهو شعب ناضج قوى ، له ماضيه الناصع في الذود عن حماه ، وفي الكفاح والفتح والغزو ، وله قدرة تامة الدفاع عن عرينه وسيادة أرضه وحراسة قناته وثغوره متى تمت له الحركة والقدرة على تكوين جيشه وإعداد أسطوله .

العوامل والأسباب

(١٠) وقد بدأت هذه المسرحية الجديدة بمقابلة المندوب الانجليزى وقد كانت مقابلته جافة لهم ، وكانوا فيها مثال الضعف وقد أخطأ بعضهم إخطاء بالغة في حق الوطن فقد كانت السمة الغالبة على هذا الحديث هي التفاهم والمساومة . وقد سغه (ونجت) حركات وكتابات محمد فريد وأعتبرها خطأ كبيرا وقد أجابه عبد العزيز فهمي بأن حزب الأمة يدعو إلى ما يدعو إليه الحزب الوطنى (ولكن بطريقة الشيوخ) وهي طريقة أخف حدة وإن كان ونجت يعرف ماهو حزب الأمة ومن الذى صنعه ؟

والعجيب أن كاتبنا من الكتاب أخذ يروج لحزب الأمة القديم في طريقته من السرد التاريخى ومدح هذا الحزب بأنه أول من نادى (مصر للمصريين) وانهم الحزب الوطنى بأنه كان يمثل الخلافة الاسلامية والحقيقة الواضحة أن

حزب الأمة الذى نادى مصر للعصريين ، هو الآن حزب الأمة فى السودان
الذى ينادى السودان للسودانيين وحزب الأشقاء والمؤتمر هو الذى ينادى بوحدة
وإحدى النيل ؟

وفى هذا اليوم الذى جعلته الأحزاب فاتحة الجهاد ، أعطى سعد للندوب
الانجليزى وعوداً بأن لا تعامل مصر مع غير انجلترا ولا تتفاهم مع غيرها
وتعطيها الضمانات الكافية فى طريق الهند وهى قناة السويس وتحالفها على غيرها .
بل وتقدم لها عند الاقتضاء ما يلزم من الجنود

أى شروط هذه وأى وعود هذه ؟ وماذا يكون الاستقلال والجلاء والحرية
إذا كانت مصر تقبل هذه القيود الاستعمارية ولكن لا عجب فسعد باشا حديق
الانجليز ، والندوب الانجليزى يعلم أن هؤلاء زعماء حزب الأمة ، الذين قدمهم
الاستعمار إلى الجمعية التشريعية وفرضهم عليها فرضاً فاتخب سعد وكيلها
بناء على هذا الامتياز ، ومن قبل كان هذا الامتياز نفسه سبباً فى اختيار سعد
المستشار وزيراً فى وزارات الاحتلال وفى أسود عهود الضغط والطغيان ومن
هذا التصريح فى (١٣ / ١١ / ١٩١٨) تعرف إلى أى حد كانت الحرية
الوطنية تشق طريقها فى أول خطواتها ولذلك لا تعجب حين تعلم ما صادف القضية
الوطنية بعد ذلك من ظلمات وعواصف وأعاصير

والعجيب أن كلمة الجلاء لم ترد فى تصريحات هذه الفئة الحديدية مرة واحدة ،
وكلمة الاستقلال التام هذه كلمة (انجليزية الروح) لها ألف معنى وألف اتجاه ، وقد
كانت هذه المقابلة للندوب الانجليزى لا ترى إلى فرض حقوق الوطن والتهديد
بالشعب المتحمس الذى يكاد يتفجر حماسه وثورة فى ذلك الوقت ، وإنما كان
لطلب مساعدة انجلترا لهم فى الحصول على الاستقلال ؟ وقد امتدح سعد فى
حديثه ذلك الانجليز واعترف لهم بالأعمال العظيمة التى باثروها فى مصر
والمبادئ العالية التى نفذوها فى العالم ، مبادئ الحرية والمساواة ، ونسى سعد
أن هذه الأعمال العظيمة كانت خلال وجوده فى الوزارات المتتالية كانت نفياً
للأحرار وضغطاً على الحريات وإساءة وعدواناً وإذلالاً للشعب الآن وتعطيلاً

لصحف ونكيا للأفواه والأقلام . ومن هنا نعرف كيف تنحى الأحرار وكيف أقصى المخلصون الذين جاهدوا وصابروا وصبروا وربوا الشعب وأبغضوا روحه عن الميدان وطفا على السطح هؤلاء الذين آمنوا بالتفاهم والمساومة ومن هنا نعرف كيف قبل الانجليز أن يسمحوا هؤلاء بأن يتشكلوا على الأوضاع الحزبية وأن يسافروا إلى أوروبا وأن تعرض عليهم العروض المختلفة على ضوء تصريحات الثلاثة الذين قابلوا مندوب إنجلترا . وضمت القضية الوطنية في طريق أعوج كثير الثغرات والتعاريج وتقلصت من أفكار الناس وآرائهم الأهداف الوطنية وقواعد الكفاح والمقاومة الوطنية كما رسمها مصطفى وفريد ، وظل هؤلاء الورثة لمجد ثورة ١٩١٩ يسخرون من مصطفى وفريد واتباعهما ويرمونهم بالخيال حتى جاء الوقت الذي ردت مصر كلها هتافهم القديم لا مفاوضة إلا بعد الجلاء . . . وحدة وادى النيل . . . مصر والسودان

والمعجب إن مشاريع المعاهدات والمفاوضات لا تزال إلى اليوم تركز على هذه النقاط التي صرح بها سعد للمندوب الإنجليزي ولا تزال إنجلترا تحتفظ لنفسها في كل مشاريعها التي عرضها على مصر منذ سنة ١٩٢١ إلى الآن بالقواعد الآتية :

(١) قناة السويس وحمايتها .

(٢) المحالفة العسكرية بتقديم الجنود والعتاد والقواعد والموانئ البرية والبحرية والجوية وطرق المواصلات في حالة الحرب . وقد زاد عليها في مشروع (صدق - يفرن) بتقديم المصريين للحرب مع الانجليز خارج حدود مصر وفي الأقطار المجاورة والمتاخمة .

(٣) فصل قضية مصر عن السودان وتأكيده اتفاقية ١٨٩٩ . الباطلة

(٤) قصر القضية المصرية في حدود التفاهم مع إنجلترا وحدها ، وفرض التحالف مع إنجلترا وحدها وحلفاءها باذنها والامتناع بتاتا عن عقد أى معاهدة مع أعدائها . يقع هذا والعهد قريب بتصریحات محمد فريد في قلب إنجلترا نفسها . وتصریح سنة ١٩٠٨ إلى (كينل) عضو مجلس المموم حين سأله عما يطلبه المصريون

من انجلترا حيث قال كلمته الصريحة (نحن لا نطلب شيئاً سوى الجلاء ، فالجلاء هو الدواء الوحيد للاحتلال)

ومن هذا ترى أن التيار تحول من حق معلوم واضح محدد ، لاليس فيه ولا غموض إلى مساومات ومحاولات ومعادنات وعروض ، ومن اليوم الذي رضى فيه الزعماء بمبدأ التناغم في الاحتلال وقتل مبدأ الجلاء وعدم التعاون مع المحتلين والقضية المصرية نفقد اسانيدهما وقوتها وسطوتها وأثارها الفعالة ، وهذا ما كان يريده الانجليز وما وجهوا اليه همهم حين شعروا بهذه الفورة الوطنية الصادقة وقد استطاعوا بهذه المؤامرة المنسقة العجيبة أن يقتلوا الكفاح الوطنى في مهده وأن ينقلوه من الجهاد والنضال والخصومة والمقاومة إلى مناورات السياسة ومؤمرات الأحزاب ومساومات المفاوضات على يد سعد وزعماء ما بعد الثورة . ولكن الشعب كان يفهم مطلبه الواضح وحقه الصريح ولم تكن قد انكشفت له بعد مناورات السياسة ، وعلى أساس مطلبه وحدة وحقه وحدة ، أشعل الثورة ، هذه الثورة التي لم تكن نتيجة تدبير زعيم ، ولم تكن احتجاجاً على نفي كبير ، وإنما كان مطالبه عملية بالحق الواضح المضطهد ، هذه الثورة التي لم يستطع زعيم بعد ذلك أن يشعلها ، مهما صفق له الشعب أو جمع حوله الأنصار فقد تحوالت القضية من وطنية إلى سياسة ومن إجماع إلى فرقة ومن وحدة إلى أحزاب ومن مجاهده للغاصب ونضال للانجليز ، إلى خصومه بين الزعماء أنفسهم ومن عدا صريح للانجليز إلى صداقة قوامها الخوف من جانب الضعيف عدوان من جانب القوى بأساليبهم لوانية كلها ألقاظ النصح والمجاملة

ومن الحقائق التاريخية التي لا تقبل النقص أن أول فكر في تأليف هيئة (توفد لعرض قضية مصر) للتناغم فيها هو الأمير عمر طوسون أو حسين رشدى والرواية التي تقدم الأول تقول إنه فاتح سعدا وغيره (ثم ظهر بعد ذلك أن سعداً أراد أن ينفذ الفكرة التي فاتحه الأمير ، فيها ولكن بعيداً عن الأمير) .. (وظاهر من الملابسات أن فكرة تأليف الوفد قد صدرت أول ما صدرت من

الأمير عمر طوسن وتلقاها عنه سعد باشا وانفرد بها لكي لا تكون الرئاسة للأمير إذا ظل مشتركاً في تنفيذها (١).

ومن هنا تبين أما (١) أن الانجليز أبعدا عمر طوسن لأنه خهم عنيد ومن رأيه المطالبة بالجلاء الصريح وأما (٢) أن سعداً أراد أن ينفرد برئاسة الوفد وقد يكون الوضع الصحيح هو إبعاد الأمير وتقريب سعد لأن الأمير من أنصار (الجلاء وعدم التعاون مع الانجليز) وسعد من أنصار (الاستقلال والتفاهم مع الانجليز).

(٢) وقد عمل (٢) الوفد على جمع توكيلات تعينه على أداء مهمته واختار لها صيغة مضطربة، لاتنص على الحقوق الشرعية الكاملة للقضية الوطنية هذه صورتها (في أن يسعوا - أي أعضاء الوفد - بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعي سبيلاً في استقلال مصر تطبيقاً لمبادئ الحرية والعدل التي تبشر بها دولة... العظمى وحلفاؤها ويؤيدون بموجبها تحرير الشعوب).

وفي هذه النصيغة ألفاظ غير صحيحة بالنسبة للفهم الوطني، فانجلترا لم تكن يوماً من الأيام من دعاء مبادئ الحرية والعدل، ولم تسع لتحرير الشعوب فائبات هذه العبارات فيه إقرار ضمني بعدالة الانجليز وهم قد احتلوا مصر بغير حق، وفي بقاء هذه العبارات خطأ لا شك فيه، ومن الظلم البين أن يوقع الشعب على أن هذه المعاني صحيحة وصادقة، وأن كان كانت لا يعترف بها وإنما أراد بها المجاملة فهي في نظر الوطني الصادق ضعف وجبن عن مواجهه الأمور بقوة وصراحة وكذلك عبارة (استقلال مصر) فيها أعضاء عن وحدة وادي النيل وإنكار للسودان، وعبارة (الطرق السلمية المشروعة) فيها معنى التفاهم

(١) ص ٧٦ (ثورة ١٩١٩) للاستاذ الرافعي

(٢) لم تكون توجد مدعاة لألف وفد جديد والحزب الوطني موجود في ذلك الوقت وهو الذي ينفذ اشهر الوطني رقد كانت مطالبه وضحه صريحة فاجلة ولكن هذه الصراحة في المطالب هي التي دعت لاستبداده لأن الانجليز أرادوا طينة أخرى تقبل التساهل والتفاهم وانصاف الحلول.

والمفاوضة والمساومة ولا تعنى طبعاً التهديد بالمقاطعة والحصوة ، اما عبارة (السعى حينها وجد للسعى سيلا) فمن فضلنا عن أنها عبارة ضعيفة إذا أن السعى هو أضعف عبارات النضال فإن سعد وحزبه وزعماء مصر منذ ذلك الحين هم الذين قصروا قضية وادى النيل على التفاهم بين مصر وانجلترا وحدثوا ذلك توجيه انجليزى براد به قتل (عالمية للقضية الوطنية) بعدم عرضها على المؤتمرات العالمية .

وقد عدلت هذه الصيغة الضعيفة بمجهود الحزب الوطنى وخفت منها روح التملق والضعف التى اعتذر عنها الوفد بأنها نتيجة للظروف الاستثنائية . وإن كان سعد قد أصر على ألا تدرج مسألة السودان ؟ وامتنع حتى عن الإشارة إليها . وإن كانت جميع المذكرات المتبادلة بين الوفد وانجلترا قد حملت روحاً من الضعف والتملق توصف بالسرف إذ وردت كثيراً هذه العبارات ،

(١) أننا نعتمد كثيراً على تقاليد العظمى التى مازالت تقدم للعالم كثيراً من الأمثلة على تمسكها بمبادئ الحرية الشخصية .

(٢) فوز مبادئ الحرية والعدل التى جاهدت العظمى لتحقيقها . واعتقد أن هذه العبارات إقرار ضمنى من هؤلاء المجاهدين واعتراف بأن مبادئ الاستعمار والتعسف والاحتلال والظلم التى استعملتها انجلترا فى مصر والشرق هى مبادئ الحرية والعدل التى أدت إلى النصر .

(٢) أشار (ملتر) (١) فى تقريره عن حزب الوفد الذى يرأسه سعد (٢) بهذه العبارة التى تكفى لتسجيل مكان هذا الحزب وزعيمه فى القضية الوطنية (هيئة مؤلفة من أعضاء أكثرهم ليسوا من الغلاء المتطرفين بل أصلهم من حزب الأمة القديم الذى كان غرضه التقدم الدستورى تدريجياً ، بخلاف الحزب الوطنى الذى هو حزب الثورة ومعارضة الانجليز)

(١) حياقى الكلام عن ملتر فى بعد

(٢) سعد ارتضاه الانجليز وكبلا للجمعية التشريعية لأن الانتخابات انحصرت على أعضاء حزب الأمة والجمعية التشريعية من صنع كلشتر

(٣) طلب الوفد السفر فرفض التصريح له ، ولفت الانجليز نظره - أى الوفد - إلى استبدال ذلك بتقديم اقتراحات مكتوبة (لا تخرج عن الحطة التى رسمتها حكومة جلالة الملك وأعلنتها من قبل) وطيبى هذا نتيجة للضعف الذى شعر به الانجليز من موقف السعاة الجدد للقضية الوطنية . وقد أرسل الوفد مطالبه إلى معتمدى البترول الأجنبية فلم يذكر فيها بصراحة (الجملاء ولا السودان) (٤) استقالت وزارة رشدى احتجاجا على عدم السماح للوفد بالسفر ، وقد كانت النية متجهة إلى ناليف وزارة تؤيد الحماية وتعارض أمانى الشعب ، وقد احتجت الأمة لذلك ، واستفكرت هذا الاتجاه وأخذت السلطة العسكرية تفكر فى سياسة جديدة قوامها التهديد والعنف للقضاء على هذه الحركة فى مهدها ، وقد انتهت هذه السياسة الجديدة إلى اعتقال سعد وبعض من معه ونفيهم ، وقد يكون هذا الاعتقال نفسه - ولا أزيد منه - مصير سعد لو أنه كان أثبت جنائنا وأوضح خطة وأمد للحوادث وأصرح فى المطالبة بالجملاء الكامل ويوحده الوادى ، وكان ذلك - لو تم - أكسب للقضية الوطنية وأبعدا أثرا . وأنى للمحاولات والمطاوولات والمداولات التى علققت القضية الوطنية ربع قرن تداولت فيها الأحداث وجرت فيها الأفلاك وتغيرت فيها الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية قاربت فى كل شئ

ولقد كان لهذه الخطوات الضعيفة التى قامت على (حسن الظن) والصدقة والثقة والتفاهم مع الانجليز أبعد الأثر فى هذه القواعد الرجعية الظالمة التى سار عليها الزعماء بعد ذلك والتى قامت عليها مشاريع المعاهدات وأساليب التحالف وقد ثبت يقينا إن هذا الاتجاه كان خطأ كله وبرهنت الأيام على فساد هذه الخطط التى تستعيز عن الجهاد والنضال والخصومة بالجمالة والصدقة والتفاهم فقد جمعت موقفنا مع الانجليز موقف الحل مع الذئب على طول الخط ، وانجلترا دولة ماكرة خادعة لا نحترم الأمم إلا عن اقتناع بقوة عارضتها وصدق عزيمتها وإيمانها بحقها واستعدادها للتضحية والفداء . ولم يعد هناك مجال انزلاف إلى انجلترا أو اتباع سياسة الاستجداء معها ،

ولم نصبح في حاجة إلى تصويرها بصورة الحامية لحقوق الضعفاء ، المدافعة عن حقوق الإنسان بل أصبح الخير أن نواجهها بالواقع فتصارحها بأنها ظالمة طاغية سلابة لحقوق الأحرار ، قتالة لروح الوطنية في الأمم ، عاملة على تمزيق الشعوب وإهدار كرامتها وعزتها .

إننا نريد إيماناً بالله وحدة ، وبحقوق الإنسانية الكاملة وحرية ، وتؤمن بالجهاد والتضحية والفداء والصمود للأهوال ، واثقة على النضال والصبر على الكفاح ، وأنه لا سبيل إلى نوال الحقوق إلا باستلابها وأن المساومة عليها والتفاهم فيها معناه أهدارها والشك في استحقاقها وعدم الثقة في قوة الاضطلاع بها وضعف في القدرة على احتمال أعبائها ، هذا الإيمان الذي نريده ، هو الذي تجلت بوادره واضحة في شباب ١٩٤٦ حين نادوا بالجلال الناجز ووحدة الوادي وصرخوا من أعماق قلوبهم قائلين للانجليز :

أخرجوا من بلادنا .

النيل لا يتجزأ .

لا حزبية بعد اليوم

ومن هذا الإيمان بالله ، الإيمان الكامل بالحقوق الإنسانية التي قررها القرآن ونفذها الإسلام نستمد العزم على جهاد من لون جديد ، جهاد التمسك بالحقوق والاستماتة في الدفاع عنها ورفض المساومة فيها ومخاصمة كل عدو لها أو حائل دونها . والحمد لله أن هذا الشعب الكريم قد فهم حقوقه وآمن بها وأنه قد كفر بالزعامات الفاشلة التي أخفقت مدى ربع قرى في استخلاص حقوق البلاد ، فهو الآن المسيطر على قضيته ، المدافع عنها ، المجاهدة في سبيل حريته ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز (١)

(٥) أنحدث انجلترا عدتها في مؤتمر الصلح لتؤكد الحماية على مصر ووضعنا خطتها الجبارة ، خطة التفاهم والمساومة والمماطلة والمحاورة ، وعرض المشاريع رغبة في قتل روح هذه الثورة القوية المفعمة بالإيمان الصادق بالحرية ، المطالبة

بالجلاء التام عن أرض الوطن ثم أفرج عن الوفد وأرسل إلى باريس ففعلت في وجهه الأبواب فكانت الصدمة الأولى ، ثم صدم ولسن الأمة في شعورها الوطني صدمة عنيفة ثانية حين صرح بأن أمريكا تؤيد الحماية الانجليزية في مصر وتعترف بها وكانت الصدمة الثالثة هي إعلان شروط الصلح التي قررها الحلفاء في معاهدة فرساي وفيها قبول للحماية التي فرضها إنجلترا على مصر ، وكان طبيعياً أن يكون هذا الاعتراف سبباً إلى ازدياد الاضطهاد الإنجليزي في مصر للشعب والاسراف في العسف واستعمال الكرناج ونهب القرى

(٦) ونألفت على أثر ذلك وزارة جديدة مؤيدة للاختلال لمقاومة الحركة الوطنية (وزارة محمد سعيد باشا ٢١ / ٥ / ١٩١٩) ومن المفارقات العجيبة أن الحكومة المصرية اتهمت بتوقيع معاهدة الصلح وهي التي تحتوي اعترافاً بالحماية عليها وتبذلت التهمة بين الوزراء ودار الحماية وبين سلطان مصر وملك إنجلترا (٧) ثم تألفت لجنة (ملتر) وأرسلت إلى مصر لتحقيق أسباب الحركة الثورية وقد قاطعها الشعب وأظهر احتجاجه البالغ عليها ولم يتقدم لها أحد كما كان منتظراً ليدل لها بأى بيان ، وقد أعلنت دار الحماية أن مهمة اللجنة (اقتراح النظام السياسى الذى يلائم مصر تحت الحماية) وعقبت على ذلك بقولها

(غرض إنجلترا الدفاع عن مصر من كل خطر خارجى أو من تدخل أى دولة أجنبية وغرضها في الوقت نفسه تأسيس نظام دستورى تحت إرشاد إنجلترا ..) وقد رد الحرب الوطنى على هذا البلاغ ببيان قوى رائع ، وجه فيه نظر الشعب إلى ضرورة استمساكه بحقوقه كاملة - باستقلال مصر وسودانها وملحقاتها استقلالاً كاملاً خالصاً من كل قيد أو شرط إلى أن قال (يجب أن ترفض كل مقايضة أو مناقشة مع الغاصب ، ويجب ألا تقبل مساومة في الاستقلال فلسنا نرضى إلا بالحق كاملاً ، وبالأستقلال تاماً شاملاً) . . . وانتهى بقوله (فليعمل الغاصبون عاشاموا وليسلكوا من سبل الارهاق والارهاب ما أرادوا فلن نفاوضهم أبدا ولن نمد لهم يدا)

أما الوفد فقد أصدر بياناً ضعيفاً ذكر فيه عباراته البقلدية الضعيفة (مبادئ الحرية والمساواة التي أعلنها الخلفاء في تحرير الشعوب) وما سوى ذلك من الفاظ وكللت جهواً لا قيمة لها، وألقت وزارة يوسف وهب بعد استقالة سعيد في ٢١ / ١١ / ١٩١٩ وهي وزارة أتت عليها ملز في تقريره ثناءً عاطراً وقد احتج عليها الأقباط قبل غيرهم، وقد اتسع في عهدنا نطاق الحكم المطلق فلما غضب السلطان على رئيسها أقصاهما وقدم وزاره نسيم للحكم في ٢٢ / ٥ / ١٩٢٠

المفاوضات والمعاهدات

(١) كان حضور ملز إلى مصر سنة ١٩١٩ كحضور دوفرين سنة ١٨٨٢ لوضع خطة للسياسة الاستعمارية جديدة فقد نفذت خطة دوفرين من سنة ١٨٨٢ إلى الثورة ونفذت خطة ملز من سنة ١٩١٩ إلى اليوم وقد قوبلت لجنة ملز بمقاولة عدائية ووصلها ١١٣١ برقية احتجاج ومقاطعة وقد نشرت بياناً قالت فيه أنها جاءت لتعمل على التوفيق بين أمانى الأمة المصرية والمصالح الخاصة للانجليز في مصر مع المحافظة على الحقوق المشروعة التي لجميع الأجانب القاطنين في البلاد .

وقد كانت عبارات الحزب الوطني في الرد عليها قوية واضحة تدعو لتسجيل (إن الأمة المصرية لا تقبل غير استقلال مصر التام مع سودانها وملحقاتها استقلالاً غير مشوب بأية حماية أو وصاية أو سيادة أجنبية أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال، وأنها لا ترضى بالخبرة مع هيئة انجليزية أو غيرها إلا إذا اعترفت انجلترا بهذا الاستقلال التام وأعلنت اعترافها به رسمياً وأبدته بجملاء الجنود الانجليزية عن وادى النيل وسحبت إعلان الحماية)

(٩) هكذا كانت الوطنية المصرية تفهم القضية ولو تمسك الزعماء بجماء الجلاء ورفض الدخول في أى مفاوضات تقبله لكان ذلك وضعاً صحيحاً للامور واستمساكاً بالحقوق كاملة وادغاماً للانجليز أمام هذا الثبات والاصرار على التنازل عن العر والطفان .

(٢) والمفاوضات ذاتها كما يقول الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك من الناحية الانجليزية وسيلة لكسب الوقت وحرف الامة عن التمسك بالجملا. ومن الناحية المصرية وسيلة للتراخي في المقاومة وقبول الامر الواقع (ص ٩٨ ثورة سنة ١٩١٩ - الثاني)

ثم يقول (... هذا إلى أن المفاوضات والاحتلال قائم فيها معنى الاكراه الادنى والمعنوى المائل في الاحتلال ذاته والاحتلال يفسد معنى المفاوضات ونتيجتها ويحمل المفاوضات المصري تحت تأثير الاكراه على المساومة في الجملا. والتساهل في وجود الاحتلال أى تحت اسم كان (ص ٩٨ - ثورة - ٢)

وقد سيطر التدخل الانجليزى على كل شىء حتى ورائه العرش فقد فرضها على السلطان فواد في خطابه المؤرخ ١٨ / ٤ / ١٩٢٠

(٣) عاد ملتر إلى لندن بعد المقاطعة وفي نية المفارضة مع الوفد المصري على اعتبار أن التفاهم معه قد يمكنه من مأربه وقد قدم ملتر مشروعا لمعاهدة تعقد بين مصر وانجلترا ورفضه الوفد وقدم الوفد من عنده مشروعا آخر فرفضه ملتر، ثم عرض ملتر مشروعا جديدا وصرح بأنه غير قابل للنقاشه وأنه يلزم إما أخذه أو تركه كله (١)

(٤) أما المشروع المصري ذاته فقد كان وصمه عار في جبين الذين قدموه ، ولما مشروع ملتر الأول والاخير فلا يزال هو الأساس والقاعدة التي تسير عليها المفاوضات بيننا وبين انجلترا بل لعله اجمالا - خير من معاهدة ١٩٣٦ ولقد قبل المشروع المصري وجود قوة دفاعية في الاراضى المصرية وهو بذلك أقر الاحتلال العسكري أو التحالف العسكري ، وقبل فصل مسألة السودان عن مصر وتأجيلها إلى اتفاق خاص ، وقبل حلول انجلترا محل الدول الاجنبية في امتيازاتها .

وقد صرح ملتر بأن (السودان) لم يكن موضع الكلام بينه وبين سعد بالكلية لانه خارج عن دائره الاتفاق المقصود لمصر ، والمجيب أن ملتر صرح لسعد هذا التصريح الخطير المجيب اننا الان في مصر واضعونا على كل شىء

ونريد أن تكون مركزنا فيها شرعيا بقبولكم لها
وهكذا ترون كيف خدعنا سعد ومن معه من الزعماء حين فرضوا في أنفسهم
القيادة لهذا الشعب وقد كان حريا بهم يومئذ أن يقطعوا كل علاقة بينهم وبين
الانجليز ، وأن يوقفوا كل تفاهم ، ويعودوا إلى صفوف الأمة يدعونها إلى الجهاد
وبطالون بحقوقها كاملة غير منقوصة

(٥) وقد أرسل سعد مشروع ملتر إلى مصر لاستشارة الأمة ولم يعلن
رأيه فيه إعلانا صريحا ورضى به (لاشتماله على مزايا لا يستهان (١) بها) ١١
والعجيب أن يصرح بقوله (أما إذا قبله غيرنا وكانت الأغلبية معهم فذلك شيء
آخر لا تقع تبعته علينا) ؟ ؟ وهذا كلام أعوج مطعم بالضعف والانحلال
وقبول الاحتلال والرضى به

وقد أتج هذا تصريرا لكرزون في مجلس اللوردات قال فيه (أن زملاء
سعد توجهوا إلى مصر لكي يشرحوا لأبناء وطنهم المعاهدة التي كانوا يبحثونها فلم
يشرحوها فقط بل حبذوها لاشياعهم فكان لها حظ كبير من الموافقة . . . ١٤)
(٦) ثم قدم الوفد تحفظاته على مشروع ملتر فكان من العجيب أن طلب
إلغاء الحماية صراحة ولم يطلب الجلاء إطلاقا ، وفي مسألة السودان تكلم عن ضمان
حياء النيل أولوية مصر فيها ولم يتعرض مطلقا للوحدة الكائنة القائمة اللازمة
بين مصر والسودان بل وصرح سعد في خطبته (أنه شديد الرغبة في إيجاد حالة
موافقة للتسوية)

وإذن فالأمر في عقيدة سعد أنه تسوية وليس جهاد وإنه مساومة وليس
إصرار على الحقوق ؟

(٧) ومن هذه العبارة يتبين مدى إيمان سعد بقضية الوطن ، مضافا إلى

ذلك تصريحه بأن مشروع ملتر (به مزايلا يستهان بها) كل هذا له معناه في موازين التاريخ

أما هذه المزايلا فلم تكن إلا إلغاء الحماية، والاعتراف (الشكلي) بمصر دولة مستقلة ذات سيادة، وقد اعترفت إنجلترا بهذا من جانب واحد - بعد أن رفض مشروع ملتر دون مفاوضة أو مساومة (تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢)

(٨) أصدر الحزب (١) الوطنى على أثر ذلك قرارا يدل على يقظته السامة ووطنيته الصادقة بعد فشل محادثات ملتر رغب فيه الأمة في أن لا تفاوض أية هيئة إنجليزية في أمر الاتفاق بين مصر وإنجلترا إلا إذا أعلنت إنجلترا بصفة رسمية دولية إستقلال مصر التام غير المشوب بأية شائبة وجلت جنودها عن البلاد، وصرح أيضا بأن الترويج لهذا المشروع يرمى إلى هدم كيان مصر السياسى الشرعى ويقضى على مطالب الأمة قضاءً مبرما

(٩) وقد دعا هذا ملتر إلى أن يذكر في تقريره (٩ - ٩ - ١٩٢٠) أن في مصر أناسا كثيرين لم يتشربوا (روح الاتفاق) بل لا يزالون معادين (لحسن التفاهم) بين إنجلترا ومصر

وقد عقب ذلك تصريح (تشرشل) عدو الانسانية ونصير الظلم وأداء الاستعمار في فبراير سنة ١٩٢١ (بأن مصر جزء من الامبراطورية المارئة) وقد احتجت البلاد على هذا التصريح وانتهى الموقف باعتبار (الحماية علاقة غير مرضية) وكتبت دار الحماية إلى عظمة السلطان في ٢٦ - ٢ - ١٩٢١ تطلب تعيين وفد رسمى لأجل الشروع في تبادل الآراء مع حكومة جلالاته فيما يختص بالاتفاق المنوى عقده

وقد كان قبول هذا على على أساس العبارات المطاطة (حسن التفاهم - روح الاتفاق - التسوية - الصداقة - الثقة . . .)

(١) ولا يزال الحزب الوطنى إلى الآن يقطأ وآية ذلك كلمة الاستاذ الرافعى في الأهرام ٢٨ / ١١ / ١٩٤٦ بعنوان (منطق المقاومة الوطنية) ينقض فيها مبدأ المحالفة ويدعو إلى المقاومة الوطنية

(١٠) وكان هذا هو أكبر خطأ ارتكب في تاريخ القضية المصرية امتعالت على أثره وزارة نسّم في ١٥ - ٣ - ١٩٢١ بعد أن كرهته الأمة وأضافته إلى لقائمه السوداء ، قائمة أنصار الاحتلال مصطفى فهمي ، ومحمد سعيد وبطرس غالي وقد كلف عدلي باشا تشكيل الوزارة الجديدة وأخذ على نفسه فيها العمل على وضع الدستور وإجراء انتخابات حرة وما إلى ذلك بما كان التفكير فيه قبل انسحاب الجيوش الانجليزية من أكبر الأخطاء في تاريخ القضية الوطنية

(١١) والواقع أن عدلي باشا لم يفكر في هذا من نفسه ، أو أن هذا كان من الأمور الخطيرة التي سعى إليها هو أو غيره بل كان ذلك أسلوباً جديداً من أساليب تخدير الأعصاب للأمة ، ودسيمة على القضية الوطنية ، أن تصرّح إنجلترا بأنها لا تقبل الاتفاق مع الوفد ، وإنما تقبله مع (حكومة دستورية) وقد أدى ذلك إلى مراسلات جرت بين سعد وعدلي لتأليف وزارة برئاسة الأخير تتولى وضع الدستور ثم نباشر المفاوضة

وقد كان قبول النظام الدستوري والبرلمان في ظل جيش الاحتلال وعميد الاحتلال بما دعا إلى تدخل الانجليز في أمر الدستور حتى صرح سعد زغلول نفسه (أن في الدستور كلمات كسبتها يد في دار الحماية) وكل قبول لأي وضع جديد في مصر دون جلاء جيش الاحتلال واعتراف إنجلترا باستقلال مصر كان وسيلة لاستمرار هذا الاحتلال وسيلا إلى فرض نفوذ إنجلترا فرضاً على الحكومات القائمة المتوالية وإجراماً خاطئاً في قبول المفاوضات والمحادثات في ظل الاحتلال وتحت ضغط الأسطول الانجليزي الذي ترسله انجلترا بين آن وآخر كلما علت صيحة من صيحات الاحتجاج على خصومتها للحرية والوطنية

والمعيب أن هذه الوحدة التي قامت بين الزعماء لم تدم طويلاً فقد انفصمت عراها عند ما شكل وفد المفاوضة الأول وفرض سعد نفسه على الوفد دون رئيس الحكومة ، ومن هنا تمزقت الأمة فانحاز جانب منها إلى سعد وجانب إلى عدلي وأسس حزب الأحرار وفرح الانجليز بهذا الانقسام وعرضوا على عدلي عروضاً ضعيفة تحت تأثير الخصومة بينه وبين سعد ، وضغط حملات الوفد عليه

وبدأت منذ هذا التاريخ عوامل الانقسام والفرقة والتمزق مدى ربع قرن كامل ولا تزال انجلترا إلى الآن تعرض على الحكومات المتعاقبة العروض ولا يزال الزعماء الذين فشلوا في فجر الحركة القومية هم بعينهم الذين يتصدرون موائد المحادثات والمفاوضات ، ولا تزال أساليب انجلترا الفاشية الظالمة في تقديم العروض والتسويات والمساومة على الحقوق الواضحة (١)

(١٢) صحيح أن تغيير نظام الحكم من مطلق إلى دستوري ، كان تحقيقا لغاية طالما رغب إليها الشعب ، ولكن المنتبج لتاريخ الحركة يرى أن المعسكرات تعددت فأصبح هناك عابدين ، ولاطوغلي وقصر الدوباره واضطربت الأمة بين هذه القيادات فلطالما وقع الخلاف بين سعد والقصر ولطالما فرض قصر الدوباره سلطانه على الحكومة ، ولو تم هذا النظام الدستوري البرلماني في ظل الجلاء والحرية لما اختلفت القيادات وتعددت ولتعاونت الحكومة والأمة على تحقيق الأهداف الوطنية والاجتماعية كاملة هذا فضلا عن أن الانجليز فرضوا أنفسهم فرضا على مواد الدستور وخذفوا منها (ملك مصر والسودان) كما سيأتي ، وأصرروا على عدم ذكر السودان كجزء من مصر فضلا عن أن مواد الدستور لا تسرى عليه ، وعلى ذلك فإن الدستور لا يكمل إلا بعد تمام الحرية وجلاء الانجليز جلاء تاما ، وامتناع سلطانهم وانتهاء إشرافهم ولطالما عبث الانجليز بالدستور وعطلوه وفرضوا على البلد أحكاما دكتاتورية وانقلابات ضد إرادة الأمة وأباحوا لأنفسهم تقييد الأمة بغيرها ويقيدها بها دستورها ، إذ الواقع أن الدستور حفاظ على حقوق الأمة وسياج لحريتها وكرامة شعبها يحكم من سلطات الطغيان والفساد والظلم التي تعرف في خلال عهد الحكم المطلق والانتقراطي

(١) تفصيل الخلافات الحزبية والوزارات المختلفة في كتابنا (تاريخ الأحزاب السياسية والزعماء)

مظاهر الثورة

- (١) بدأت بمظاهرات سلمية في مارس سنة ١٩١٩
- (٢) تصدت لها العسكرية الانجليزية باطلاق الرصاص على المتظاهرين فزادها ذلك حماسا واشتعالا
- (٣) مثلت فيها طوائف الشعب جميعه وأضربت المحال والأعمال
- (٤) امتدت إلى الأقاليم اضرابا وتظاهرا
- (٥) قطعت السكك الحديدية وأسلاك البرق ، وتعطلت المواصلات
- (٦) أعلنتها الشعب وقادها الشعب ولم يكن لزعيم ما ولا لحزب ما فضل فيها أو أثر وهدفت إلى إجلاء الانجليز عن البلاد
- (٧) ضحى فيها الشعب بآبائه ودمائه ومصالحه واحتمل كل عسف وشدة
- (٨) استشهد في هذه الثورة كثير من الجنود المجواين (من (١) غير البيئات التي تنازعت مجد الثورة وثمرتها فيما بعد)
- (٩) استمرت الثورة من مارس إلى نوفمبر ولكن أثارها بقيت إلى اصدار ٢٨ فبراير المشنوم

تصريح ٢٨ فبراير

ثورة ١٩١٩ كانت مرتحلة لأنها كانت ثورة عاطفة لم تركز على دعائم من الروحية والخلق والوعى الاسلامى الكامل ولذلك فان جهرتها قد انطلقت سريعا ولم تبقى في يد الشعب ايزيدها أواراً وليسهر على شعلتها المقدسة ، بل تسلمها الزعماء فقتلوا وأطفأوها بالنار والتراب .

فقد قبلوا التناغم مع الانجليز في الحقوق الواضحة ، ثم خدعهم تصريح ٢٨ فبراير ، وألقى بين أيديهم فتنة عجيبة شغلهم عن الوطن إلى التنازع عليها وتقاسمها ، فانصرف همهم في حدودها ثم وضع الزعماء دستوراً سيطرث عليه يد الانجليز فلم يقبل فيه الاعتراف بحدود مصر ولا بملك مصر ملكا على مصر والسودان ولم يقبل ذكر علاقة السودان بمصر فيه علاقة واضحة صريحة كما يراها الوطنيون . وترك تصريح ٢٨ فبراير القضية المصرية تحت التناغم والمفاوضة ، وكان الاستقلال اسما على غير مسمى ولفظا مطاطا لا يحمل من ورائه معنى فقوات الاحتلال باقية والمنادوب البريطانى لا يزال يفرض نفوذه ، ويهز الوزارات ويقلبها ويفرض نصائحه وأوامره وإبذاراته ، حتى بعد معاهدة ١٩٣٦ التى قررت الاستقلال بصورة أصرح ، استباح الانجليز لأنفسهم أن يفرضوا حاكما بسلطان الدبابات .

وكانت مشروعات المفاوضات كلها كسبا للوقت ومطاولة مطاطة ومناورة ماكرة . تلبس أثوابا براقة ، وتقدها نفوس ملأى بالمسكر والدهاء لا تحمل إلا الاستعباد والاستبداد في أشد صورة وأعنف ألوانه حتى جاءت معاهدة ١٩٣٦ المشثومة فاعترفت بشرعية الاحتلال ووقعها زعماء البلد ، وكتبت على البلد ذلا لا حد له وشقاء لا مزيد عليه ، وقبلت مصر بها بقاء الجيوش الانجليزية وحصارها لقناة السويس ودعمت اتفاقية ١٨٩٢ الباطلة التى فرضها كرومر على مصر في أشد

أوقات المحنة ، هذا في الوقت الذي صرح فيه المفاوض المصري سنة ١٩٣٠ بقوله (تقطع يد من يوقع المعاهدة بغير السودان)

(١) تصريح ٢٨ فبراير كان تصريحاً من جانب واحد ، هو الجانب الانجليزي بإلغاء الحماية وبقاء الاحتلال ، وقد حصل عليه ثروت وصدق ، بالاتفاق مع النبي على أن يوجه إلى سلطان مصر وقد أعدت صورته بمعرفة صدق - وذلك على أثر قطع المفاوضات التي دارت بين عدلى - كرزن في ختام سنة ١٩٢١ والتي حاربها سعد وانتهت بنفيه .

(٢) اعترف التصريح بمصر دولة مستقلة ذات سيادة مع الاحتفاظ بأربع أمور تجرى بشأنها مفاوضات : (١) تأمين المواصلات (٢) الدفاع عن مصر (٣) حماية المصالح الأجنبية (٤) السودان .

ونص في ملحق التصريح بأن لمصر أن تنشئ برلمانا يكون له الاشراف والرقابة على السياسة والادارة في حكومة مسئولة طبقاً للنظم الدستورية .

(٣) كلف ثروت على أثر ذلك بتأليف الوزارة (١) وطلب إليه في خطاب تأليفها وضع النظام الدستوري وقد صرح ثروت في خطابه إلى السلطان بأنه سيضع مشروعاً دستورياً يقرر مبدأ المسئولية الوزارية ويكون به للهيئة النيابية حق الاشراف على العمل السياسي المقبل .

(٤) قبول هذا التصريح بفتور من الوطنيين المخلصين ، ذلك لأنه إذا كان هذا هو كل أثر أنتجته ثورة ١٩١٩ فما أضعفه من أثر ، وما أضيع هذه الثورة وسلام الله على الدماء التي سفكت من غير أن تأتي للوطن بحقوقه الكاملة الصريحة . وطبيعى أن يرضى على هذا التصريح أولئك الذين هبوا لهم الدستور حياة جديدة لها كياناتها وسلطانها ومجدها ، ولم يكن لهذا التصريح أى أثر إلا هذا

(١) سيأتى بيان ذلك في كتابنا القادم (الاحزاب السياسية والزعماء)

لا اعتراف المكتوب باستقلال مصر وانتقالها من سلطنة إلى مملكة ، أما الأوضاع لعملية فيما يتعلق بالاحتلال وأثاره والاستقلال ومعامله فلم تتأثر . مطلقا وقد نالت جريدة الاخبار في التعليق على هذا التصريح عبارة جيدة لا بأس من أن ننسبها هنا .

(إن هذه الوثيقة لم تأت بتغيير أساسى للمبادئ التى عرضت فى مشروعى كيرزن وملتر) أما جريدة الأمة فقد أبدت عدم استطاعتها فهم ما تريد انجلترا من التحدث عن الأقليات ورات فى ذلك غشا مظلما ، وقد رفع الأمراء إلى السلطان عريضة عبروا فيها عن رأيهم فى التصريح فقالوا أنه لم يغير مركز مصر من الوجهة السياسية العملية .



صفحات الاحتلال وآثاره

تنقل الاحتلال في ثلاث مراحل :

(١) الأولى احتلالاً سافراً باطشاً قاومته الأمة مقاومة صريحة كاملة أو قد نار وطينتها مصطفى كامل ومحمد فريد .

(٢) الثانية حماية غليظة سوداء - كمت الأفواه وحطمت القوى وشلت الهمم ، وسحق الشعب ، وأجاعته وجردته من خيرات وطنه .

(٣) الثالثة لون جديد من الاحتلال بعد الثورة ، وتصريح ٢٨ فبراير هو تسلط المستبد من الزعماء والحكام على وطنية الشعب واضطهاده ونقل القضية من ميدان الوطنية المجاهدة إلى ميدان مناورات السياسة ومساومات المفاوضة ،

وفيما يلي تلخيص لصور مختلفة من هذه المراحل الثلاث :

(١) اشترى الانجليز أسهم قناة السويس ، اشتراها دوزائيلي اليهودي سنة ١٨٧٥ وكانت أولى الخطوات الإيجابية في وضع يد انجلترا على مصر وقد خالفت بذلك أبسط قواعد الاقتصاد إذ أن هذه الأسهم عرضت للأفراد وليس للدول وكتبت جريدة التيمس في ٢٦-١١-١٨٧٥ يقول (إن من المستحيل أن نفكر في شراء أسهم قناة السويس منفصلاً عن علاقة انجلترا المستقلة بمصر

(٢) تهديد اسماعيل بعزلة وتولية الأمير حليم ، وقتل اسماعيل ياشا صديق المفتش لأنه كان يدافع عن خراب مصر ، قتله لم يعرف إلى الآن تفاصيلها التي أحيطت بالسكتان الشديد وقد أنعم على قاتله بلقب (سير) وطنظنت التيمس بعد قتله فقالت (لقد كان اسماعيل صديق زعيم حزب يقاوم النفوذ الأوربي وكل تقدم للدينة في البلاد ، إن سقوط المفتش ليعد من أقوى دواعي النجاح) نعم : أقوى دواعي النجاح للانجليز ، للمستعمرين الذين يسحقون كل من يحاول أن يقف وقفة غيره في سبيل وطنه .

(٣) كانت سنة ١٨٨٢ من أشد الأيام سواداً وحلقة على تاريخ مصر وعلى الوطنية وعلى الكرامة ، فقد بدأت إنجلترا احتلالها بحجة واهية ، هي تثبيت عرش الحديو وقد ادعت بأنها لا تبغى بعد ذلك بقاء في مصر ، ولكنها عملياً كانت تعمل على تثبيت قواعد ما وتركيز قدمها في مصر لتتصرف منه على الامبراطورية الأفريقية وعلى الشرق الأوسط كله .

(٤) بسطت سيطرتها المالية والحرية والادارية بشكل واضح في إلغاء الجيش الوطني وتكوين جيش برئاسة (سردار) انجليزى ووضعت على رأس البوليس قومندان انجليزى . وسيطرت على المالية بإلغاء المراقبة الثابتة وتعيين مستشار مالى انجليزى وبقي جيش الاحتلال في مصر يهدد دائماً بإلزام الحكومة باتباع أوامر إنجلترا التي ترد باسم نصائح وألقى الدستور والمجلس النيابى واستبدل بهما مجلس شورى القوانين وقد اعتبر أعضاءه موظفين وليسوا وطنيين (٥) دفعت مصر تعويضات من حوادث سنة ١٨٨٢ بلغت ٤٢٥٠٠٠٠ رطل جنيه وفرضت عليها رواتب ونفقات جيش الاحتلال وكبار الموظفين الانجليز حتى بلغ هذا العجز حوالى ٨ ملايين جنيه سنة ١٨٨٤

(٦) اتخذت إنجلترا من هزيمة المصريين في (شيكان) نوفمبر ١٨٨٣ وسيلة لتنفيذ خطتها في اخلاء السودان ، وقد استقال شريف باشا ممتنعاً ومحتجاً ، ونفذ نوبار هذا الامر الانجليزى وغان وطنه

(٧) عين الانجليز وكلاء لوزارتى الداخلية والأشغال ومستشار قضائى للحقانية وسلت وزارتى نوبار ومصطفى فهمى بالرغبات الانجليزية تسليداً كاملاً ، وقد تولى مصطفى فهمى صهر سعد زغلول وأصدق الحاكين لانجلترا الوزارة مرتين من ١٨٩١ - ١٨٩٣ ومن ١٨٩٥ - ١٩٠٨ وكان عهده أشد العهود حلقة وظلماً وعسفاً لمصر وتحقيقاً لرغبات الانجليز وسيكتب له التاريخ اسود الصحائف .

(٨) حارل الاستثمار أن يشوه الحركة الوطنية فاتهم الحزب الوطنى بأنه صنعة الباب العالى وأته لا يمثل الشعوب المصرى وقد جرت الوزارات فى

طريقة عدائية محضة له ، ثم شنت عليه الأحزاب المصرية بعد انشائها ناراً حامية وسافت له ألفاظ النهم والسخرية ولكنها الآن تعترف بمنهاجه وترجع إليه (لإمضاة إلا بعد الجلاء ١)

(٩) تصریح للانجليزى (بلنت) عن مصر بعد الاحتلال
لقد قضينا على حرية صحافتهم بعد احتلنا بلادهم طويلا - وأينما أن نبرءا
وعدناهم به من ترقية نظمهم وبسطنا عليهم شرطة سرية جديدة لا نالوا ضم
الشعب وكسبا للدور ، واعتقالا ونفيا وتشريدا وسجنا كما كان يفعل بهم في
أسوأ أيامهم الأولى ، فإذا طالبونا بالجلاء عددنا ذلك تمردا منهم ، وأنذرناهم
بأن نرجع إليهم إذا لم يقد هذا الضغط القليل إلى الحكم العسكري الصريح

(١٠) خلت البلاد في العشر سنوات الأولى من الاحتلال من روح المقاومة
وتعاقبت على الأمة وزارات الاحتلال ودب الفساد والتحلل في النفوس
واستشرى الغش والنفاق وألغى الدستور وسلخ السودان وحوربت الصحافة -
وحل المدرسون الانجليز بدل المصريين ، واستعبد التاريخ القومى الصحيح
وأما التعليم الاستعماري الشعور الوطنى وطبع بطابع الولاء للاحتلال
وسيطر الانجليز بالمندوب والمستشار والامتيازات والمحاكم المختلطة والشركات
التي وصلت رؤوس أموالها ٣٠ مليون جنيه وأصبح للأجانب إلى سنة ١٩٤٠
٣ أراضى مصر ملكا ورمنا

(١١) سياسة الانجليز كلها دس وتفریق بين الشعب والحكومة ، بين القصر
والحكومة بين أبناء الطوائف والأديان ، بين طبقات الشعب بالأحزاب ،
مقاومة التقدم والنضوج ، محاربة روح اليقظة والكفاح ممثلة في الصحف والهيئات
(١٢) قدم بعض الأعيان إلى قواد الجيش الانجليزى سنة ١٨٨٢ الهدايا ،
واحتفل الانجليز بساحة عابدين بعبد ميلاد الملكة فيكتوريا برئاسة أفن بارنج
(كرومر) واستعرض الحديو عباس الجيش الانجليزى وأنعم عليه بالرتب والنياشين
(١٣) الاستثمار له وجهين في النظر إلى الأمور ، وجه بالنسبة لأصحابها
ووجه آخر بالنسبة لغير أصحابها ، وتفسير ذلك نقول ، إن الرئيس ولسون

أعلن حق تقرير المصير والحقوق الأربعة عشر ودعا هذا الرجل للحرية وللدفاع عن حقوق الأمم الصغيرة بقوة وحرارة وقال إنه لا سيد ولا مسود وأن لكل دولة الحق في أخذ حقها الكامل من الحرية ، ولكن هذا الرجل كفر بما قال ، وأنكر ما أذاع عند ما امتحن بالتجربة ، فقد اعترف جهاراً بأن لا إنجلترا الحق في احتلال مصر وهذا نص البرقية الواردة لمصر في ٢٢ / ٤ / ١٩١٩ من أمريكا

و اتشرف بأن أبلغكم أذ رئيس الجمهورية يعترف بالحماية الانجليزية على القطر المصرى وهى الحماية التى طبقتها حكومة جلالة الملك فى ٨ - ١٢ - ١٩١٤ إلى الجحيم أيها المستعمرون ؟

(١٤) حاول الانجليز أن يشوهوا ثورة ١٩١٩ وأدعوا بأن أصابع معينة أنارتها ، وكان هذا كذب وخداع فما كانت ثورتنا وليدة أى مؤثر آخر ، ولا بقيادة أى زعيم ، وإنما كانت وليدة الشعور الصادق الدافق ، بيد أن الشعب لم يكن قد تكامل وعيه الوطنى فترك الزمام للزعماء فأفسدوا ثمار هذه الثورة ، ولو تمسك الشعب بزمام ثورته لجز الدنيا ونال حقوقه كاملة غير منقوصة ولما وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من مطاولة كآها ظلم واحجاف ومن تسليم القيادة للزعماء العجائز الرجعيين الذين لا يؤمنون بالجهاد ويركنون إلى المفاضة ويرون ضرورة التعاون مع الانجليز ، أولئك الذين نشأوا فى مدرسة الاستعمار فانقرست فى قلوبهم بذور الخوف من الانجليز وقد فسوا أن انجلترا اليوم أضعف ما تكون قوة وأسوأ ما تكون حالا

(١٥) كان (١) للثورة أبناء أوفياء أكلتهم وذهبوا فى خوف الزمن لا يكاد يعرفهم أحد أو يذكرهم أحد ، إن هناك عشرات الألوف من الجنود المجهولين ، أقاموا هذه الثورة وجعلوا من أرواحهم ومن دمايتهم ومن أموالهم وجهودهم وقودها ، ولكنهم ذهبوا وأعدموا أو سجنوا أو أرغموا على الاختفاء فى عالم النسيان وفاز بغنائم الثورة سوامم أولئك الذين لم تستفد مصر منهم شيئاً ، بل ربما كان منهم عدو الثورة وجلادها ولكنهم اليوم يصاخون الشمس وبين أيديهم مقاييس الوطنية ومصاير الشعوب .

(١٦) فقد الوطن حريته وكرامته وخلقه وثروته وقوته وجيشه وعدته ونولت مع الحياة الجديدة مطامع وأصبحت السياسة مهنة والحزبية وسيلة لكراسي الحكم وبعد أن كانت يد الاحتلال ظاهرة اختفت هذه اليد وراء الستار وحركت الشخوص على المسرح فحاولت تغيير جوهر الدستور والاحتفاظ بشكله كما حدث ١٩٣٠ ، وتدخلت في أعمال الوزارات وإقالتها ، وخلقت الأزمات الوزارية ، وتدخلت في فبراير وضعت قانون محاكمة الوزراء وحماية الدستور وقانون اللغة العربية وقانون الزكاة وقانون الشركات عن أن يرى الشمس واستطاع الانجليز الماكرون أن يكون لهم في كلا الجانبين موضع ، فهم مع المضروب باكون ومع الضارب محرضون (١) واستغل بعض الزعماء إثار الثورة لمصلحتهم للمصالحه الوطن ورأينا هؤلاء الذين جاهدوا وصبروا وصبروا قد أقصوا عن الميدان وأردو ، وطفوا على السطح من حجب الحقيقة وطمس الكفايات واستغل كل شيء لنفسه ولانصاره .

(١٧) إغرائنا الانجليز بالإسراف والتبديد ، ووضع كل القوى والأموال في أتون المتعة والشهوات فانهكت قوانا الحسية والمعنوية وانصرف الناس إلى شئونهم الخاصة ووقفوا من السياسة والحقوق الوطنية والحركة القومية موقف المحايد المشرف المتفرج وعلمهم الاستعمار إن هذه المسائل (سياسة عليا) لا ينبغي أن ينشغل بها غير السلطان والوزراء ، وبذلك لم تجد الحركات الوطنية صدى ، فضلا عن الاقتناع الذي ساد الناس بأن حياتهم الخاصة وأمورهم أهم في نظرهم من أمور الأمة وحقوق الوطن وهذا مما قصر بهم عن الكفاح وجعلهم ينزفون في البيوت في أوقات المحن وينشغلون بالمنع الخاصة .

(١٨) خدعنا الانجليز بخدعتان كبيرتان : خدعة الحكم وخدعة المفاوضة فقتلوا روح المجاهد ، وخلقوا بدلا منها مناورات السياسي - وروح المجاهد لإيمان

وقوة وحق كامل ، أما مساورات السيامى فهى ضعف وهواده ومساومة وتقام ومراوغة وتملق ، ولم نر هذه الروح القوية العارمة التى تفرض على الزعماء عدم قبول الحكم وجندى انجليزى واحد فى أرض الوطن ، أو عدم قبول أى انتخابات برلمانية فى ظل الاحتلال .

(١٩) قامت المفاوضات بين مصر وانجلترا على المحالفة بينهما وهو أمر لم يطالب به مصرى واحد ولم ينادى به وطنى واحد وقامت المفاوضات فى ظل التسلح من الجانبين من جانب الانجليز بجيوش الاحتلال ومن جانب الحكومة ببوليسها الذى بطوق الجامعات والأحزاب ودور الصحف .

(٢٠) كان تصريح هور فى نوفمبر ١٩٣٥ ذا دوى عنيف فقد صرح هذا الاستعماري الظالم بأن مصر ليست جديرة بالحياة النبوية ولا بالاستقلال وقد ثار الشباب ثورة عنيفة انتهت بعودة دستور ١٩٢٣ ثم عقدت معاهدة ١٩٣٦ وهتف بعدها الأذنان بحياة انجلترا وحملوا السفير على الأعناق ومرت بالوطن أقصى ألوان الظلم والعسف إبان الحرب ٣٩ - ١٩٤٢ إذ فرضت الحزبية الظالمة الجاهلة الإخلاص لانجلترا حتى عد من يخرج عنه من الطانور الخامس أو من أنصار المحور أو خارجا على النظام وقدمت مصر أعراضا للترفيه عن الجنود وباعت هذا العرض المصرى رخيصا فى سوق الرقيق الأبيض لأبناء التيمس وسحقت بذلك الكرامة المصرية ولطختها بالطين والوحل .

وكان هذا الترفية تنفيذا حريا دقيقا لمعاهدة ١٩٣٦

حتى إذا انتهت الحرب وقام الشعب يطالب برد حرية المسلوبة صرح تشرشل أن من الجنون الجلاء عن مصر وضرب الانجليز الشباب الطاهر الحر بالرصاص من النوافذ والشرفات وديس باللوريات وقتلت هذه الفورة والحماة بمشروع جديد لا يقل شراً عن سابقه كمت له الأفواه ، وقصفت الأقلام وسجن الأحرار ..

وبعد إن كان هذا الاحتلال طغيانا استعماريا أصبح بمعاهدة ١٩٣٦ وما بعدها

مقا شرعيا وأبعد لفظ الاحتلال وبقي معناه وتأكد حق إنجلترا في اتفاقية ١٨٩٩
الباطلة بمعاهدة ١٩٣٦ وأُتيح للإنجليز بمشروع ١٩٤٦ العمل على تمزيق وحدة
وادي النيل باسم وحدة وادي النيل .

(٢١) استطاع الإنجليز أن يوعزوا من وراء ستار بمنع حسن البنا
وصالح حرب وعلى البرير من دخول البرلمان .

(٢٢) فرض الإنجليز على هذا البلد قانون التجمهر رقم ١ سنة ١٩١٤
ووافق مجلس النواب على الغائه في ٢٠ / ١٢ / ١٩٢٧ ولكن لم يصدر لأن
قانون مشروع الإلغاء .

وفرضوا قانون الاجتماعات العامة والمظاهرات (قانون ١٤ لسنة ١٩٢٣)
وهذه قوانين صنعها الإنجليز رغبة في كبت الشعور الوطني وخنق صوت
الشعب وقد فرضوها في وقت عصيب ، وفي ظرف اغتابة والنفي والتشريد .
والعجيب أن هذه القوانين وضعت لتطبق على الأحرار الذين ينادون
بالاحتلال الغاشم ولعقاب الوطنيين الذين يظهرون شعورهم في أوقات الحرج
رغبة في كبت هذا الشعور وتكليم هذه الأصوات .

وبقاء هذه القوانين سبب عار في جبين مصر التي تعتبر نفسها حرة مستقلة .
ولا ندري كيف يمكن أن تكون هناك حرية ومدنية وهذه القوانين ما تزال
قائمة تكبت مشاعر الجماهير ، وتمكن للحاكم من فرض القيود على الشعور الوطني ،
ولعل أصحاب الأمر يدرسون نفسية الشعب ويعرفون أن بقاء هذه القوانين قد
يكون سببا في مضاعفات شديدة فضلا عن أن الحرية المكفولة بمواد الدستور
تتناهى مع بقاء هذه القوانين ويقضى واجب الكرامة لإلغاء هذه القوانين
وتحرير الشعب من قيودها .

(٢٣) اعتبرت مصر منذ احتلالها حقلا خصيبا لأموال الأجانب وجعلت
تربتها وخاماتها وسائل لاستثمار هذه الأموال على شرط أن يثرى منها الأجنبي
ويتضخم ويظل المصري هو العامل وهو الفقير وهو الذليل .

وقد أسست مئات الشركات وظفرت بالاحتكار وفرضت سلطاتها على الشعب واتخذت من الامتيازات حصانات قوية .

(٢٤) الميدان الاقتصادي كله محتل بالمصانع الضخمة والثروات الكبرى والغنى الفاحش ، وقد أدركت الحرب هذه المصانع والثروات فأزادت تضخمها وانتفاخا ، ووقفنا نحن من وراء الصفوف تلتقط فئات الموائد ، فقراء تمسأ . إجرا ، لاقدرة لنا على الإنشاء والتأسيس والمنافسة .

(٢٥) حورت هذه الشركات وتسمت بأسماء مصرية واستغلت كبار المصريين فأدجوا فيها أعضاء مجالس الادارات حرصا على نفوذهم الشخصي في قضاء المصالح ولم تقف الشركات عند هذا بل استعانت بالسفارات والمفوضيات على شل القوانين وتمطيل الشريعات التي تعفظ الكرامة والعزة المصرية وقد أوقف قانون اللغة العربية وقانون الشركات .

الدستور

(١)

(هو القانون السياسي للمستأنز أصمير عليه الله)

هو مجموعة القواعد الأساسية التي تقرر النظام الحكومي للدولة وسلطة الحكومة وطريقة توزيع هذه السلطة وكيفية استعمالها ،
والدستور شأن لا يكون للقوانين العادية حتى يكون في مأمن من خطر الأهواء الحزبية ، ولذلك لا يمكن أن يتنازل بالتعديل أو التغيير إلا عندما تدعو أقصى الضرورات ، وقد جعل الدستور الحكم الفعلي في يد هيئة من الناس ممن تتوافر فيهم كفايات خاصة لهذه المهمة وهي الحكومة ، وأخضع الحكومة لرقابة الرأي العام الذي يمثلته أعضاء البرلمان
وينقسم الدستور إلى ثلاثة أقسام :-

- (١) خاص بحقوق الأفراد وواجباتهم
- (٢) خاص بنظام الحكم في الدولة
- (٣) خاص بتعديل الدستور ، ١ هـ

(٢)

(هو كتاب صغير زغلول لمستأنز العقاد)

كانت الوزارة وأنصارها يقررون المبادئ التي تلائمهم في الدستور وهي مبادئ التبعية الوزارية ، والاعتراف بالأمة وحدها ومصدر السلطات بدلا من حصر السلطة الدستورية في أيدي الملك ، وهو الجانب الذي كانوا لا يأمنونه ولا يرجون منه المساعدة على نجاح الخطة المرسومة وجرياتها في ذلك المجرى المعلوم ، وكان يشابعهم المخلصون من أعضاء اللجنة الذين لا ينظرون إلى

المارب الحزبية ، ويؤثرون المبادئ الديمقراطية في الدستور على مبادئ الاستبداد
فاستفاد الدستور كثيرا من حيطه الوزارة وإخلاص المخلصين وجهه على
الجملة دستورا لا بأس به في القواعد والنصوص

ولكن الملك فؤاد كان يريد الدستور على غير هذه القواعد فيما يرجع إلى
التبعية الوزارية ومصدر السلطات ويجعل ما يريده في هذا الباب أن تكون الوزارة
مسئولة بين يديه ولا ينص في الدستور على أن الأمة مصدر السلطات جميعا
فتوترت العلاقات بين القصر والوزارة الثروتية ولاح في الأفق أن الملك يترقب
الفرص التي يتخلص فيها من تلك الوزارة ..

... ثم قامت الوزارة التسمية وغرضها الأول تعديل (١) الدستور وتوسيع
حقوق الملك في التبعية الوزارية وتعيين أعضاء مجلس الشيوخ

أما وسائلها إلى هذه الغاية فهي التقرب من الوفد واسترضائه بما يجنح به
إلى السكوت عن التعديل المقصود ، فلا يرى الانحياز وجهها للاعتراض مع
موافقة الملك والشعب على المبادئ الدستورية التي يستقر عليها القرار ثم
استقالت الوزارة التسمية لأن الانحياز تخطوها ووجهوا إلى الملك إنذارا
يطلبون فيه حذف النص الخاص بالسودان في الدستور والاكتفاء فيه بلقب
ملك مصر بدلا من ملك مصر والسودان فقبل نسيم باشا هذا الطلب واستقال
بعد قبوله وتنفيذه ... اهـ

لجنة تحضير الدستور

(١) انتقدت حكومة ثروت بشدة من الصحف المعارضة للحكومة لاقدامها

(١) المبادئ التي مست بالتعديل

(١) - اطة الأمة (٢) اشراك الوزارة في الانعام بالرتب والناشين (٣) اقتصار حق
الحل على مجلس النواب دون مجلس الشيوخ (٤) أبقاء عدد الشيوخ لاثنتين دون عدد المنتخبين
(٥) اشراك مجلس الشيوخ في تعيين رئيسة (٦) عدم اصدار مراسيم دوريه أثناء انعقاد البرلمان
قبل عرضها عليه

على تحضير مشروع الدستور ووضع قانون الانتخاب بمعرفة لجنة تختارها هي، وتعمل تحت إشرافها قائلة أن الواجب يقضى بتحضير كل ذلك بمعرفة جمعية وطنية تختار هذه الغاية، وبلغ الشقاق حده لهذا السبب بين الحكومة وبين الوفد، وكانت الحكومة تخشى أن تنقلب هذه الجمعية إلى معاوضة وتعطيل تمتنع معه كل نتيجة صالحة وذلك بنص خطاب ثروت في الجمعية التشريعية (١)

(٢) اجتمعت الحكومة في تمثيل كل الأحزاب والطبقات فوجهت الدعوة إلى عدد كبير من ذوى الكفايات في جميع الأحزاب ومن جميع الطبقات المتعلمة بلامتياز (٢) للاشتراك في مشروع وضع الدستور فأبى فريق المعارضة نلبية الدعوة، وكان الأولى بالمعارضة الاشتراك لأن تطبيق الدستور بعد وضعه سيكون على الجميع بلامتياز

(٣) صرح ثروت بأن الوزارة لا تريد أن تتحمل وحدها تبعه وضع الدستور ولذلك دعت أكثر من ثلاثين مصرياً من ذوى الكفاءة بصرف النظر عن أحزابهم السياسية لمعاونتها، من الوزراء ورجال القانون والعلماء والأعيان والعربان (٣)

(٤) كان تصريح ٢٨ فبراير (حقنة مخدرة) للشعور الوطنى، أراد بها الانجليز أن تواجه مصر لونا جديدا من الحياة بعد رفع الأحكام العرفية، وكان روضع الدستور في ظل الاحتلال معناه السيطرة التامة عليه ولذلك لم يقبل الحكومة

(١) في ١١ - ٤ - ١٩٢٢

(٢) رواية أحمد شفيق باشا في الحواريات

(٣) الاعضاء الذين اشتركوا في لجنة الدستور مع حفظ الانساب : - حسين رشدي - منصور يوسف - عبد الحميد البكري - محمد توفيق رفعت - يوسف سبابا - حسن رشدي - أحمد حشمت أحمد طلعت - محمد نجيب - قلابي فهمي - ابراهيم الهلباوي - حسين هيكل - الياس عوض - علي ماهر - حسن عبد الرزق - عبد لطيف المكباتي - توفيق دوس - يوسف أصلان فطاوى - محمد علي علوبة - صالح اللوم - محمد متولى - أحمد صادق - أحمد أمين - محمد أمين عبد النعم - ابراهيم أبو رجا - عبد العزيز البكري - زكريا قابلي - محمود أبو النصر عد حيت راضى - عبد الحميد بدوى - علي المنزلاوى - عبد العزيز فهمي - محمود صادق

بأمر الانجليز - أن تعهد إلى جمعية وطنية بمهمة تحضير الدستور لأن الانجليز يرمون إلى غاية يخشون أن لا يصلوا إليها إذا قامت جمعية وطنية بتحضير الدستور قبل عقد الاتفاق بين انجلترا ومصر

(٥) كثرت الاحتجاجات من الحزب الوطنى والحزب الديمقراطى ومجالس المديریات وكان رأى العام كله مضاد لسياسة ثروت ، ناقما على أعمال وزارته سواء فى ذلك الممتنون إلى سياسة الوفد أم الممتنون إلى سياسة الحزب الوطنى (٦) بدأت اللجنة عملها فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢

المقبات فى طريق الدستور الطامس

(١) تأخر إصدار الدستور بسبب المفاوضات الدائرة بين الحكومة المصرية ومندوب انجلترا وذلك بشأن الانذار الذى تلقاه (اللتي) من الحكومة الانجليزية وقد جاء فيه أنها لا توافق على ذكر السودان فى مشروع الدستور المصرى ، وتظل حقوق مصر محفوظة إلى أن يتم الاتفاق عليها فى المفاوضات بين مصر وانجلترا ، وادعت وزارة خارجية انجلترا أن المادتين الخاصتين بالسودان فى مشروع الدستور تعتبر انكساراً لاتفاقية ١٨٩٩ وخروجاً على تصريح ٢٨ فبراير وفصلاً فى أمر السودان من جانب مصر وحدها

(٢) سلم المندوب هذا الرد إلى جلالة الملك مباشرة وطلب منه الرد إما بالرفض أو بالقبول فى مدى ٢٤ ساعة أى عند ظهر ٣ فبراير ١٩٢٣ وتقول الصحف أن هذا الرد يعتبر انذاراً يتضمن التهديد بالرجوع إلى حكم الحماية وإعلان ذلك رسمياً ، ثم إلغاء اتفاقية ١٨٩٩ وضم السودان إلى انجلترا ، وفوق هذا كله تكون انجلترا حرة فيما ترى أن تتخذه نحو العرش ومصر ... ؟

وهناك قرأتين تدل على أن الجنود الانجليز تلقوا فى ذلك اليوم أوامر معينة (٣) اجتمع الوزراء فى سراى عابدين وقرروا التبديل والنص بدل الحذف التام وتم الاتفاق مبدئياً على أن المادة التى تنص على ملك مصر والسوان ترفع منها الآن (السودان) إلى أن يتقرر مركز السودان نهائياً (١)

(١) المادة ١٤٥ تحذف منها كلمة (السودان جزء من مصر) ويوضع بدلاً منها (وتطبيق قواعد الدستور على مصر لا يعنى ما لمصر من الحقوق بالسودان)

(٤) أصدر الوفد (١) بيانا جاء فيه (والأخبار متواترة عن وقوع أمور خطيرة في شأن الدستور فانهم يؤكدون أن هناك أخذ ورد بين الوزارة والانجليز يتعلق بالنص الخاص بالسودان ، وأن الوزارة قد أدخلت من جهتها تعديلا جديدا على نص المشروع يقضى بزيادة عدد الأعضاء المعيّنين في مجلس الشيوخ إلى النصف وتقرير مسؤولية الوزارة أمامه ، فأما حذف النص على السودان فانه يكون نكبة وطنية كبرى لا تستطيع أى وزارة مصرية أن تتحمل مسؤوليتها الخطيرة ، كما أن الأمة التى تتمسك بحقوقها في وضع الدستور والتي أعلنت سخطها على المبادئ الرجعية التى تضمنها مشروع الدستور قبل عرضه على الوزارة لتستنكر أشد الاستنكار كل محاولة ترمى إلى هذه التعديل خصوصا ما كان منها متولفا بالمسئولية الوزارية إذ فيه قضاء على سلطة الأمة .

(٥) وقعت الوزارة في أزمة بسبب غضب الشعب عليها يستحثها على سرعه إصدار الدستور ووقوف مندوب إنجلترا في وجهها بمنعها من إصداره مشتملا على نص يشير إلى تقرير حق مصر في السودان .

وكتبت جريدة السياسة لسان حزب الأحرار الدستوريين تقول : (إن العراقيين الخاصة بالسودان ليست إلا مجرد عذر عن التأخير في التصديق على الدستور وتحويل اهتمام الجمهور عن التغييرات التى يقال أنها أدخلت على تأليف مجلس الشيوخ والتي وضعت لايجاد شكل من الحكم أكثر أوتوقراطية .

(٦) وكتب مراسل الأهرام بلندن يقول (وقد ثار غضب (البنى) لأن الملك ونسيم باشا رفضا أن يكونا مجردا له ائنة في يد الاحتلال وأظهرا دلائل قوية على وطنيتهما ، ولهذا السبب أخذت دار المندوب تدس الدسائس ضد الملك ونسيم باشا بلا انقطاع على أمل أعاده ثروت باشا أو تنصبت وزارة عداية تؤيد البنى ضد الشعب المصرى)

(٧) اشتدت حملات الصحف وكثر لفظها حول التعديل الذى أدخل على

الدستور واهتمت الأحزاب بذلك التغير كذلك ولا عزو فان السواد الاعظم من الامة لم يكن راضيا .

(٨) في ٢٠ مارس رفع أعضاء لجنة الدستور احتجاجا مؤرخا في ١٩ / ٣ على التعديلات التي أدخلها نسيم باشا على المشروع وبما جاء فيه (اطلعنا في الصحف على تعديلات قيل انها أدخلت على المشروع الذي وضعت لجنة الدستور لجزعنا لها إذ ألفيناها تمس جوهره مساساً خطيرا ولما كنا اثناء وضع هذا المشروع قد عملنا جهد الطاقه - ونحن شاعرون بالمسئولية العظيمة الملقاه على عاتقنا - ليخرج محققا لسلطة الامة محافظا على حقوق العرش ، ضامنا للتوازن بين جميع السلطات .. فلذلك نتحج على تلك التعديلات ونطلب أن يصدر الدستور كاملا كما وضعت اللجنة مشروعة على الأقل .

(٩) كتبت جريدة التيمس في ٢٧ مارس تقول :

« وقد أثار الذين وضعوا مشروع الدستور البحث في مسئلة مستقبل السودان السياسى بتلقبهم الملك فؤاد ملك مصر والسودان ..

لم يعترف مفاوض انجليزى وليس فى وسع أى مفاوض انجليزى أن يعترف بهذا الحق لمصر ، وقد تولى (ملنر) الحذر فاستثنى فى خطاب خاص تطبيق أى مقترح من مقترحاته على السودان ... وإذا كان الزعماء المصريون يسعون لحل مسئلة السودان شرطا مقدما على نشر الدستور فان النتيجة الوحيدة لذلك هى أن تلقى إنجلترا تصريح ٢٨ فبراير كله بما فيه من التحفظات والحكم الذاتى فتعود مصر إلى ظل الحماية .

(١٠) حملت الصحف الانجليزية على سياسة القصر (١) حملة شديدة واهتمت بعيله إلى الأنوقراطية (حكم الفرد) الأمر الذى كان سببا فى تأخير صدور الدستور ونسبت إلى عماله أنهم يبذلون قصارى جهدهم لكي يحولوا التيارات المتعارضة من الآراء السياسية لفائدته وأنهم لا يستنكفون من استخدام المتطرفين الخطيرين فى - ميل بلوغ غاياتهم .

وطيبي أن هذا محض خطأ وباطل ، اندفعوا له بالنصرة الاستعمارية فقد كان في نية الانجليز استرداد هذا الحق أو إفساده ولذلك عملوا جامدين على أن يضعوا أيديهم الآثمة في حقوق الملك فضلاً عن أنهم حالوا دون توضيح حدود الوطن وعلى سير النص الصريح على أن السودان جزء لا يتجزأ من مصر ، وظهر أصبح الانجليز واضحاً في نصوص الدستور .

(١١) كتب الأستاذ محمود عزمي في جريدة السياسة يقول :

إن لجنة الدستور قد عملت أولاً على تقرير حقوق الأمة وسلطانها الكاملة ، أما وزارة نسيم باشا فقد عملت بروح رجعية لنزع كل سلطة مقررة للأمة محاولة لإقرار التحكيم والاستبداد .

ثم أرغمت الظروف وزارة يحيى إبراهيم على التوفيق بين مختلف الآهواء ومتعدد المصالح ومتناقض النصوص ، ثم استخلص الكاتب إلى أنه من الطبيعي أن تكون النتيجة لذلك أن يشمل الدستور عيوباً تجعله في بعض نواحيه مستحقاً لأن ينعت بالدستور المهجين (١)

الدستور والسودان

(١) كانت لجنة الدستور قد وضعت مادة في صلبه تلقب فيه جلالة الملك ملك مصر والسودان فقامت قيادة الصحف الانجليزية على ذلك وقالت إن مسألة السودان من المسائل المحتفظ بها للمفاوضة المقبلة بين الحكومتين ، وإن تلقب جلالة الملك فؤاد بهذا اللقب تعرض للموضوع المحتفظ به وبث في أمره من إحدى جهاته كما أسلفنا بيانه ، وكانت الحكومة ترى رأى لجنة الدستور من أنه لا ينبغي تعديل هذه النقطة الجوهرية واتخذت - كما يقول الحوليات - مسألة جعل السودان جزء لا يتجزأ من مصر شكلاً حاداً كان موضع أخذ ورد في الصحف والأندية .

وما قالت الصحف الافرنجية ما يأتي (ويراقب الوفديون مع أعضاء الحرب الوطنى فى مصر هذه التطورات باهتمام شديد ، وهم يعلمون أنه إذا حذفت من الدستور المادة المتعلقة بالسودان فإن وثيقة الدستور يجب أن تعترف بأر الملك فراد ملك مصر فقط ، وهم يرجون أن يرفض الملك التصديق على الدستور خصوصاً وأن رأى المصرى يؤيد بأغلبية ساحقة الاعتراف بالسودان كجزء من مصر المستقلة وقد كانت هذه النقطة بالذات سبباً فى الأزمة الوزارية التى أطاحت بوزارة ثروت .

(٢) وقد وجه الدكتور محجوب ثابت إلى لجنة الدستور خطاباً بشأن السودان نرى أنه من الخير إثباته هنا ، جاء فيه :

الأسألكم بحق دماء إخوانكم الذين رءوا ترى السودان ومجاهل أعالي النيل ، أسألكم بحق آلاف الأرواح التى استشهدت مع هكس ويكر وغردون وعبد القادر ومن قبل مع الأمير إسماعيل باشا فى شندى . أسألكم إن أردتم أن تؤدوا واجباً عليكم لهذا الوطن المهدى هو أن لا تتركوا تحديد بلادكم ، وكونوا على أشكاله أغلبية واضعياً الدساتير وحددوا قطركم انصروا أيام إسماعيل الكبير وابنه الخديو توفيق باشا وأطلعوا على خرائط بلادكم قبل الاحتلال . كانت حدود السودان المصرى حتى سنة ١٨٨٢ حسب التقرير الرسمى كما يأتي :

يبدأ الخط برأس نياس على ساحل البحر الأحمر إلى نقطة غير معينة من صحراء ليبيا والصحراء الكبرى ، هذه النقطة تتجه إلى مقابلة الزاوية الجنوبية الغربية من دارفور ثم ينزل مستقيماً إلى الجنوب ثم يتجه إلى الشمال ماراً بإقليم والبرك نيازاً إلى فكتوريا نيازاً إلى الدرجة الخامسة تقريباً تحت خط الاستواء ثم يصعد إلى الشمال الشرق فيصل إلى الأفيانوس الهندى ماراً برأس عردفوى شاملاً مدبرة هرر وزيلع وبررة ومصوع وسواكن ثم يبلغ شاطئ البحر الأحمر حتى رأس نياس ...

تمسكوا بالحدود القديمة وعضوا عليها بالنواجذ ولا تفرطوا فيها ولا تنقلوا هن تأييدها فأننا لا نفهم كيف يجمع قوم منا بين حسن نية الانجليز الذين

يريدون بتر جزء منها لا يتجزأ ، هذا هو جزء القلب ، الجزء الأساسى الرئيسى الذى منه مورد الحياة لوطنكم وتشبثوا فى وجوب التمسك بالسودان تمسكا تاما فان الساعة رهية والأنباء كثيرة ورهية بفصل السودان عنا

لو أجلم الطرف فى خريطة اسمايل أو خريطة مصر قبل الاحتلال أو حوالى سنة ١٨٨٤ ورأيتم هذا الوادى تخفق على كل طوله علم مصر من ضفاف فكتوريا نيازا مرفوعا بجوار قصر متزا سلطان الاوغندا إلى الاسكندرية وترونه الآن يراد إزاله من السودان كما أنزل فى عصر الاحتلال من مديرية خط الاستواء (الاوغندا) ومن زيلع وهرر وبربرة ومصوع ..

لا تتركوا أيها الاعضاء المحترمون تحديد القطر المصرى بسودانه .

واجب على الوزارة أن تحصل على الاعتراف بيطان اتفاقية السودان ١٨٩٩ تلك البدعة السياسية المضللة .

ما كانت مصر لتحتمل ما تحملت من أعباء الصرف على السودان وترقيته والسهر على الأمن فيه وكل ما به وتقدمه ورعايته بعد إخماد ثورة المهدي (وبعلم الله من موقد نارها حتى صرنا لها حطبا) فقد بلغ مجموع ما صرفت المالبية دون تردد نحو الخسين مليوناً تقريبا من الجنيهات فى شئون السودان وإصلاحه بعد استرجاعه ليكن لكم عما قاله كرومر عبره حين فكروا فى إخلاء السودان . لا فائدة من السودان لمن يملكه .. وقد كان ذلك فى الماضى ويبقى كذلك فى المستقبل ، وذلك تمهيدا لإخلائه منا لاستيلاء الانجليز .

ثم رد كرومر على من يقول بأن استرجاع السودان ليس من مصلحة مصر وعلى من يستنكر استمرار مساعدة المالبية المصرية المتزايدة : قال (إن السودان ليس عديم الفائدة لمصر بل فائدته لا تقدر بحال فان من ينظر إلى خريطة أفريقيا نظرة واحدة يرى الاتصال التام بين مصر والسودان ، وهذا الاتصال هو السبب الذى حمل الحكومتين المصرية والانجليزية على استرجاع السودان)

كما أنه لا ينفي قول كرومر (إن التحكم بماء النيل لازم لخير مصر)
إن مسألة النيل هي المسألة المصرية الواجب الاهتمام بها . . . لأننا استعملنا
رجالنا في الآلاف الكيلو مترات من الطرق الحديدية وبناء المدن والمرافق
بركل ما نراه الآن قائماً من بناء نخم أو قصر مشيد فإن المصري وذراعه هما اللذان
أقاماه وشاده ، وبعد ذلك قسّم من بعض ساسة الانجليز بأن مصر ليس لها
في السودان إلا حقها في الماء .

الماء ماء أبى وأبى ونيلى مذ ولدت ومذريت
هذا كلام يقوله المصري منا وأخوه السوداني على السواء فهما إخوان
ستقيان بماء واحد .

إن مصر ما كانت يوماً ما حائلاً دون تقدم السودان ورقبه كما يريدون أن
يفهموا إخواننا السودانين ويلصقونه بنا زوراً وهتافاً فلا يمكن أن يذكر
هنا لحمة النسب ولحمة القرابة ولحمة الدم من أبناء فراعنة وعرب من ما كنى
النيل بمصر أو سودانه . .

قول توبده مباحث علماء الآثار والأجناس البشرية في القديم والحديث
(سيروا وناقلا وتيرى) فلا تلتفتوا أيها السادة إلى خطب قيلت فالقوم تحت
الأحكام العرفية منذ أربعة وعشرين سنة ، وأنتم أدري بهذه الأحكام وفعلها
هددوا في دستوركم السودان إلى فيكتوريا نيازاً كما كان مدة أسماجيل وكانطقت
به التفارمات له ولانته وحفيده مصداقاً عليها من الدول وفي مقدمتها إنجلترا .
واختم قولى بكلمة المهندس الكبير الكولونيل السير سكوت منكريف في
خطاب له بالمجتمع العلمى الملكى بلندن . - أول أكتوبر ١٨٩٥ قل

(إذا ما وضعت أمة متمدينة يدها على أعالي النيل فبطبيعة الحال ستقيم
سوداناً في طريق رسول فيكتوريا نيازاً (النيل) لتنظيم ماء هذا البحر الخضم
وضبطه ، وذلك أعمال سهلة الإجراء إذا ما حققت مرة فيما يجرى في النيل
يكون وفقاً لرغبة هذه الأمة المحتلة فإذا ما جر سوء الحظ مصر التبعة للحرب

هذه الامة قائما تكون عرضة للفرق أو الجذب والقحولة حسب ما يشئ خصمها وغريمها .

٥ (٣) واصلت الصحف الانجليزية نشر الآراء التي تنق بها عدم أحقية مصر في ادعاء أي حق لها في السودان مؤكدة أن انجلترا هي التي أوجدته وانتشلتها من الفوضى التي كانت ضاربة أطنابها فيه بسبب عجز المصريين عن حسن إدارته (١)

على أنه لولا القيادة والجنود والمالية الانجليزية لكان من المحتمل كل الاحتمال أن تخسر مصر السودان خسارة لا تقوض في عهد قلاقل المهدي في حين أن المشروعات والادارة والأموال الانجليزية هي وحدها التي جعلت السودان في حالة رقيه الحاضر ، ١١ ومن هنا تعرف معنى الاصرار على الخطة المبينة التي سميت بعد ذلك سودنة السودان ، وإعدده للحكم الذاتي وما سوى ذلك من وسائل لتفريق وحدة الوادي .

(٤) استقالت وزارة نسيم باشا وشكلت وزارة يحيى ابراهيم باشا وهي الوزارة التي أصدرت الدستور وقانون الانتخابات وأجرت الانتخابات وفيها يل نص خطاب من عيسد الدين فهمي باشا خاصا بالدستور إلى يحيى ابراهيم باشا .

« لست أشك في أن أول ما يهمكم كما يهم البلاد من أقصاها إلى أقصاها هو أمر الدستور الذي رأت مصر بارقه في عمرها مرة واحدة سنة ١٨٨١ ، والذي تشرف البلاد الآن بفضل كرمها بنها وظروف الأحوال وحسن توجهات ملكها على أن تنعم به للمرة الثانية .

إن هذا الدستور قد وضعت مشروعه لجنة رأسها أحد أعضاء وزاراتكم وكان فيها وزيران آخران من زملائكم . . . وقد قامت بمهام مراعية فيه وجه الله والوطن ووجه ملك البلاد فأقرت كل شيء في نصابه ، وأعطت كل

(١) هذا الكلام له من سنة الآن م. يذكر بالخطوات والتطورات التي جرت عليها انجلترا للوصول إلى غايتها من فصل للسودان عن مصر .

نحى حق حقه فلم تغط الأمة حقها في أن لها السيادة وأنها مصدر كل سلطة ومن تغط المائلة العلوية حقها الثابت في أن الملك فيها إلى ما شاء الله .

والآن أخشى كثير أن يخرج الدستور لا كما وضعت تلك اللجنة بل مشوها بالتعديلات التي يتناقل الناس أن وزارة نسيم باشا أدخلتها عليه .

أولاً : عيّنت لجنة الدستور عناية تامة بالبحث في شأن السيادة على البلاد فرأت أنها حق للأمة وأن كل سلطة قد أصبحت الأمة مصدرها ، وأن سلطانها أضحي فوق كل سلطان فجعلت هذا المبدأ أساساً للدستور ودوته بالمادة ٢٣ من مشروعها ، لكن الناس يتناقلون أن دولة نسيم باشا غفر الله له قد حذف هذه المادة من فروع الدستور فقلبه بهذا الحذف رأساً على عقب وأصبح الدستور الذي أشار بإعطائه للبلاد مجرد منحه من العرش على اعتبار أنه لاحق في الأصل للأمة ولا سلطان للأمة ولا سيادة الأمة .

مذهب إن كان قد صح في نظر دولة نسيم باشا فعهدى بك وقد كنت كبير القضاء أنك في حق وطنك أكثر معدلة وأشد إنصافاً وأنت لا بد قائل متى أن السيادة هي للأمة والسلطان للأمة ومصدر كل ولاية في البلاد هي الأمة .

ثانياً : يتناقل الناس أن نسيم باشا قد عدل قانون الرتب والنياشين بأن جعل (نظاماً) للأعيان من حقوق صاحب العرش وحده بلا مشاركة للوزارة (وقد كانت هذه المشاركة راجعة بمقتضى القوانين التي وضعها السلطان حسين سنة ١٩١٥) خشي أن البرلمان لا يقر هذه الجريمة وأن يعدل تلك القوانين أو يلغيها فأراد أن يسد الباب على البرلمان ويسلبه حق المراقبة في هذا الشأن فعمد إلى المادة (٤١) من مشروع اللجنة فعدل نصها تعديلاً يجعل قوانين الرتب التي وضعها دوله قوانين دستورية ، ونتيجة ذلك أن يكون للملك إنشاء الرتب وأوسمه الشرف كما يشاء ومنحها لمن يشاء من الأعيان بدون أي تدخل للحكومة ولا للبرلمان ولا مراقبة لأيهما وأن هذا سلب جرى لحقوق البلاد الثانية لها ثبوتاً لا ويب فيه وفتح لباب واسع من أبواب الفوضى والاحلال بالنظام .

ثانيا - سمعت أنه حصل تعديل فيما لذلك من حق حل البرلمان فبعد أن كان مشروع اللجنة يقصر هذا الحق على مجلس النواب قد رأى دولة الباشا أن يكون للملك حق حل المجلسين معا أو بالانفراد أى أنه له أن يحل مجلس النواب متى شاء أو أن يبقيه ، ويحل مجلس الشيوخ كما يشاء أو أن يحلها كليهما متى شاء ، سلطة في غاية الخطر ليست من مصلحة الأمة ولا من مصلحة الملك ولا أدرى كيف انفاق نسيم باشا لتقريرها فانه ما من متنبه في البلاد إلا ويدرك مبلغ مثل هذا التعديل من الخطر .

رابعا - سمعت أن نسيم باشا لم يكتف بتعديل كيفية تأليف مجلس الشيوخ بل عمد إلى المادة (٧٥) من مشروع اللجنة فعدّلها بأن جعل تعيين رئيس الشيوخ من حق الملك وحده لا رأى فيه لهذا المجلس ، وهو اقتيات على حق المجلس لا يتفق مع مصلحة البلاد ولا مع كرامة المجلس بل ولا كرامة العرش خامسا - سمعت أن دوكه قد أضاف إلى الدستور مادة حاصلها إن هذا الدستور لا يغل بالامتيازات المخولة لذلك بصفته ولى أمر البلاد فيما يتعلق بمعاهد التعليم الدينى وبالأوقاف التى فى إدارة وزارة الأوقاف واثن صح ما سمعت لكن دولة نسيم باشا قد أراد أن يخلق لذلك حقا دستوريا فيما يتعلق بالأوقاف وأن يحرم نواب البلاد من تنظيم الحقوق التى قد تكون القوانين المالية خولتها مرضا للملك .

سادسا - يقال إنه عدل المادة ١٤٧ من المشروع وهى الخاصة بطريقة تنقيح الدستور فصعبها من وجهين الأول زيادة الأغلبية اللازم توفرها لاقرار التعديل والثانى ضرورة تداخل الملك للتصديق على التعديل حتى فى المرحلة الأولى ومقتضى ذلك أن كل ما اشكره نسيم باشا من التعديلات التى سلبت الأمة شيئا من حقها سيبقى أبديا لا سبيل إلى التحلل منه . . . راجيا أن تعملوا على اصدار الدستور لا على مجرد أنه منحه بل على أنه حق ثابت للأمة يصدر فى شكل اتفاق بين الأمة بواسطة الوزراء الذين هم منها وبين جلالة الملك أى بصفة عرض من رئيس الوزراء وقبول من الملك . . . (١٥) طبق الأصل كما ورد فى حوليات مصر السياسة لشفيق باشا

(٥) أخذ على أعضاء (١) لجنة وضع الدستور إنهم كانوا بعيدين عن الروح الإسلامية والحياة الإسلامية الصحيحة فقد امتزجت حياتهم بالروح الأوربي وبالثقافة الغربية فهم أوريون لحما ودما وقد وضعوا لمصر دستورا أخذوه من دساتير بلجيكا وفرنسا وغيرها ، وقد تناحر المصريون حول هذا الدستور حقوق برونة في وجوده مرتقى للحكم وآخرون يرون في تعطيله مرتقى للحكم أيضا (٢) الروح الإسلامية والتشريع الإسلامى لم يتوافر في أعضاء لجنة الدستور وهم جماعة عاشوا في ظل الحماية وعهد الاحتلال وعملوا تحت ضغط السلطات الانجليزية ولذلك لم ترد فيه عن الإسلام إلا المادة (١٤٩) الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية

(٧) لا يختلف الإسلام مع الدستور بل يقره من وجهة قبول النظام الديمقراطي والوضع النبأى وإقرار سلطة الأمة والمادة (١٥٦) التى تنص على أن (الملك ولكل من المجلسين اقراح تنقيح هذا الدستور بتعديل أو حذف حكم أو أكثر من أحكامه أو إضافة أحكام أخرى ومع ذلك فإن الأحكام الخاصة بشكل الحكومة النبأى ونظام وراثه العرش ومبادئ الحرية والمساواة فى يكملها هذا الدستور لا يمكن اقتراح تنقيحها) هذه المادة تمكن للتشريع الإسلامى من أن يفيض على الدستور من روحه وأهدافه

وأن يكن الدستور لم يحقق الرغبات الكاملة لمصر والسودان ولعرش مصر والسودان ولتوجيه النظام الاجتماعى فى البلد وجهه اسلامية ولم يسلم من البد الانجليزية ومن فرض رأى المحتلين على لقب الملك ومادة السودان وإن الذين قاموا على الدستور كانوا من دعاة الحضارة الغربية أو ممن فهم الإسلام فهما تقليديا فان زحف الفكره الإسلامية سيكون عاملا قويا من عوامل توجيه النظام النبأى والتشريع الدستورى فى البلد وجهة تتفق مع الشريعة الإسلامية وذلك يتفق دستوريا مع تطور رغبات الشعب وحاجاته وأخلاقه

(٨) مادة السودان ١٥٩ (المعدلة) تجرى أحكام هذا الدستور على المملكة

المصرية بدون أن يخل ذلك مطلقا بما لمصر من الحقوق في السودان) بدلا من المادة ١١٨ (يسرى هذا الدستور على جميع أجزاء المملكة المصرية ما عدا السودان) فمع أنه جزء من مصر تحت سيادتها خاضع للملكها فإن نظام الحكم منه يقرر بقانون خاص (٩) مادة الملك (١٦٠) (المعدلة) تعين اللقب الذي يكون لملك مصر بعد أن يقرر المندوبون المفوضون نظام الحكم الهائي للسودان (١٠) في سنة ١٩٢٩ عطل محمد محمود باشا الدستور والحياة النيابية ثلاث سنوات (تفصيل ذلك في كتابنا القادم (الأحزاب السياسية والرعاة)

دستور سنة ١٩٣٠

رأى (١) جلالة الملك فؤاد أن يجرب تجربة جديدة لتعديل الدستور تعديلا يلائم خطته التي ترمى إلى الفصل الحقيقي بين سلطة التشريع وسلطة التنفيذ ذلك بعد الاحتكاك المستمر بين حق القصر وحق الأغلبية وبعد الشكوى الدائمة من علبة روح المنفعة على الحياة النيابية، ومن هنا كانت محاولة إصدار دستور ١٩٣٠، على أساس عدة آراء ونجارب رأى الملك ضرورة تطبيقها (٢) رأى نسيم باشا عندما أحيل الدستور إليه من الملك ضرورة إدخال تعديلات كثيرة تضيق من حق الأمة ولكن كلن أخطر تعديل أشار به هو تحريف المواد التي تجعل الوزارة مسئولة أمام البرلمان بأن يجعل لإمضاء الملك دون وزرائه قوة القانون. وبذا هدمت المادة ٤٨ التي تنص على أن الملك يتولى سلطته بواحدة وزرائه، وبدا أن الملك أخذ بوجهة نظر نسيم باشا ألا إن رئيس الوزارة وناظر الخاصة هددوا بالاستقالة انتهت الأمور بأن سلم الملك بأن التعديل المقترح خطر لأنه يسلب الدستور كل معنى، وهو ليس في مصلحة البلد والتفكير فيه يساوي التفكير في إلغاء الدستور كله

وجربت تجربة دستور ١٩٣٠ ولكن بعد أربع سنوات من استمرارها
ظهر أن البلاد لم تكن تطبق الحكم بهذا الأسلوب ثم تقرر العودة إلى دستور
سنة ١٩٢٣

(٣) أصدرت وزارة صدقي باشا الدستور في ٢٨ أكتوبر ١٩٣٠ وقانون
الانتخابات الجديد وظهرت على الدستور ثلاثة إعتراضات (١) القبول التي
قيدت المسؤولية الوزارية (٢) حفظ الحق للحكومة في أن يكون إقتراح القوانين
المالية لها وحدها (٣) أرجاء القوانين التي يرفعها الملك إلى الدورة التالية

رأى عبد العزيز^(١) فرهمى باشا

في دستور ١٩٢٣ و ١٩٣٠

كان من الممكن أن يجرى دستور لجنة الثلاثين أرق دساتير العالم إمعانا في
تثبيت الحرية والديمقراطية ولكن بعد أن تم وضعه أجريت عليه عدة تعديلات شق
وكان أن اعترضت على إجراء هذه التعديلات واحتكت إلى بحى إبراهيم
باشا رئيس الوزراء وقتئذ (نشر فيما سبق) واحتكت إلى رأى العام على
صفحات الجرائد والمجلات ولكن إعتراضاتى ذهبت مع الرياح فقد صدر الدستور
كما أرادوه

تمر السنوات وبطل فيها الدستور مرة وتجرى الانتخابات مرات حتى
جاء صدقي باشا ورأى ما في الدستور من أخطاء .. ورأى أن يعمل على تلأفيها
وخاصة وقد تجملت لديه سلطات كافية ورأى أن يستشيرني فيما قرره على أساس
معارضنى القديمة الشديدة لبعض فصوص دستور ١٩٢٣ وفعلا اجتمعنا مرات
وتناقشنا طويلا ثم خرج دولته على مصر بدستور جديد عرف باسم دستور

صدق وقد قال كثيرون في هذا الدستور ما قال مالك في الخبر... ولعل أشنع تهمة وجهوها له هو أنه انتقص الكثير من سلطة الأمة. وكل من درس دستور ١٩٢٣ يجد أنه لم يتعرض لها بل أبقاها هي وكل حقوق المصريين وحرياتهم على ما هي عليه في دستور ١٩٢٣. كل ما في الأمر أنه قرر احكاما بسيطة لاتمس أساس النظام، لحدد أحد أعضاء المجلس ونظم مسألة الاستجواب ثم عدل قانون الانتخاب وجعله مطابقا لنصوص الدستور لاختالفا لها كما كان الحال في قانون انتخاب دستور ١٩٢٣ المعمول به اليوم ويسعى اليوم كل مفكر دستوري إلى إعادة قانون الانتخاب الذي وضعه صدق باشا

والقلق الموجود في حياتنا البرلمانية ناشئ عن طريق الانتخاب فنحن أمة يقل فيها عدد من يقدرون واجباتهم السياسية بالنسبة إلى مجموع الناخبين وما دامت هناك أغلبية ساحقة من أبناء البلاد ترنع في الجهل.. فاد طريقة الانتخاب ستأون هذا الجهل المنفشي على ألا يكون النواب من خيرة أصحاب الرأي ومن ينبوعهم أحوالهم الاجتماعية حب استقرار النظام

البرلمان

١ - ثبت البرلمان

« لاؤمن بالنظام البرلماني مع وجود الاحتلال » على هذا
الوضع تقبل روح الجهاد « سياسي »

برلمان سعيد	١٩٢٤	
برلمان زيور	١٩٢٥	
برلمان ثروت	١٩٢٦	(تضامن الأحزاب)
برلمان صدقي	١٩٣٠	(على أساس الدستور الجديد وحزب الشعب)
برلمان النحاس	١٩٣٦	(الجهة القومية)
برلمان محمد محمود	١٩٣٩	(الأحزاب المعارضة)
برلمان النحاس	١٩٤٢	
برلمان ماهر	١٩٤٤	(الأحرار والسعدين والكتلة)

٢ - آراء في البرلمانية المصرية

١ - الأستاذ محمود طاهر المحامي « العمل لمصر »

أثبتت التجربة أن الأصعب الأجنبية قد شلت من سلطة البرلمان المصري واعتدت على حقوقه الدستورية في أكثر من تشريع مصري هام، كما أثبتت أن مجلس النواب المصري منذ إنشائه في عام ١٩٢٤ لم يستعمل حقه الدستوري في الاقتراع على عدم الثقة بالوزارة، واسقاطها. بل الذي حدث على التوالي هو العكس؛ إذ أن كل وزارة مصرية تؤيدها السياسة الأجنبية قد استطاعت التخلص من كل مجلس نواب مصري يناوئ هذه السياسة

٢ — المصور ٢٣ - ٨ - ١٩٤٦

البرلمانية تجدى ونجى فى بلاد الاستقرار ، أما فى البلاد المعلقة المصير ،
المتنازعة الأحزاب بأهواء الدول الواقعة تحت سلطان مباشر أو غير مباشر
للدخيل لا للأصيل فهى كارثة ، وفوضى وقاجمة ، وعلاجها الاستئصال لأمد
محدد تجرى فيه الإصلاحات والاستعدادات للدفاع عن كيان الوطن واستقلاله
وحريته ، والبرلمانية عاجز - والسنة ومناير تصلح لأيام اليسر لا أيام العسر

المصور (العدد ١٠١٣) ١٠ - ٣ - ٤٤

البرلمانية الصحيحة لا تنضج وتكتمل وترتفع فى مصر إلا إذا ارتفع
مستوى التربية السياسية ارتفاعا كبيرا عن مستواه الآن ولا يزال شبح الحزبية
فى كل موضوع يفسد البرلمانية النقية العالية المنتجة ، ويحول دون الوصول إلى
القمة والذروة شبح الحزبية هذا لا يزال يترامى أمام النواب الحزبيين فيدفعهم
إلى الشطط حينئذ لا يزال يترامى أمام الحكومة والأغلبية فيدفعهما إلى الحذر
الشديد وسوء الظن الأشد هذا وذاك عاملان من شأنهما أن يلويأقصد الحكومة
والمعارضة معا

نقول هذا مخلصين وننظر بشغف ذلك اليوم النموذجى الذى تعترف فيه
المعارضة بأن الحكومة حكومة وأسمائها أن تعمل للبلد وإلا فقدت حاضرها
ومستقبلها ، وذلك اليوم النموذجى الذى تقدر فيه الحكومة أن المعارضة عنصر
ضرورى يجب أن يتزعم ويقوى ويترك له المجال حرا ليكشف نواحي النقص
وليبرز نواحي الخطأ لينصح وينذر النصح الأمين والانهذار الأمين ..

.. من خبايا وخفايا السياسة العامة مالا تستطيع الحكومة أن تثيره وقد
تكون فى أشد الحاجة إلى إنثارته على غير مسئوليتها ليرتفع صوت مصر البرلماني
حارا قويا جبارا تستغله الحكومة وتستخدمه فمن بالله يقوم بهذا الدور غير المعارضين

٤ - رأى نائب مر

الحياة النيابية في مصر حياة تأفس وتنازع على كرامى الحكم وهى هذا
مخرج عن الأوضاع السليمة الصحيحة إلى الشهوات الشخصية والمطامع الفردية
والعجيب أننا لم نسمع في مصر بالبرلمان الذى أسقط وزارة أو سحب منها
الثقة أو عارضها في تصرف من تصرفاتها بل الذى نعرفه جيداً أن برلماننا
كانت دائماً تؤيد الوزارات وتواليها ، والعجيب أننا لم نرى في برلماننا النواب
إحرازا الفكر الذين ينظرون إلى تبعه النيابة ومسئوليتها بعين التقدير فلا يوافقون
ولا يحكمون إلا بعد بحث واستقصاء ودرس ومعارضة ومناقشة ولو كان الحكم
من أنصارهم

أنهم وكلاء الأمة قبل أن يكونوا أعضاء حزب معين ، وإن في رعايتهم
مسئولية هذا الشعب الذى انتخبهم ووضع الثقة فيهم ، فلا بد من النظر بعين
التقدير إلى هذه الثقة قبل النظر بعين المجاملة إزاء الأحزاب الوزارية
والواقع أننا في حاجة إلى نواب يفهمون هذه المعاني ، ويطبقونها فلا تغلب
مصالحهم الشخصية على مسئولياتهم الكبيرة ، ولا تغلب مجاملتهم للوزير على
كرامتهم كرجال ، يوافقون عما يقتنعون به ويؤمنون به ولا يكونوا امعات
تنساق في التيار

٥ - الأستاذ فكري أباظة ١٩ - ١١ - ٤٣٩١ (العدد ١٩٩٧ المصور)

إن برلماننا المصرى قد قطع من عمره عشرين عاماً ، وعشرون عاماً ليست
بالعمر الصغير ولا القصير واقد عصرت التجارب البرلمان المصرى عصراً
موجب أن تصقله صفلاً .

إذا صح أن الدستور في نصوصه الغامضة والمتكررة ، والتي على بياض ، هو
أعلة فلماذا هذا الجود أمام غموض الدستور وفراغ الدستور وتردد الدستور .
هيا راجعوه بالنبة الخالصة وبروح التفاهم الصريح فعدلوه أو هذبوه أو

أو أملاؤه ونفقوه وطعموه بالدم الجديد وأجعلوه واضحاً مقروءاً وضاماً
لا ليس فيه ولا إبهام .

٦ - الأستاذ عباسي محمود العقاد - ١٤ - ١٢ - ١٩٤٤

الوظيفة الكبرى التي من أجلها خلق البرلمان هي محاسبة الحاكم على إخطائه
ومراجعته في مشروعاته وأعماله . فالأهم لا ندعو إلى الانتخاب لأن الممارك
الانتخابية مطلوبة لذاتها ولا تنتخب البرلمان لأنها في حاجة إلى إنفاق الآلاف
والملايين على جماعة من (المطييين) يصفقون ويهللون ويتردون إذا كفوا
عن التصفيق والتليل .
كلا وإنما هي تتحمل هذه التكاليف سعياً إلى فائدة واحدة من ورائها هي
محاسبة الحكومة ومراجعتها

٧ - اللواء الجبير - ١٤ - ١٢ - ١٩٤٤

لقد كان خير للأمة ألف مرة ، أن تلغى فيها الدساتير والقوانين جميعاً
فيقال إنه مكرهة على الظلم والفساد من أن يحسب عليها الدستور والقانون
ليقال إنها هي التي تفسد حكومة الظلم والفساد وتنكر كل ما عداها من
الحكومات .

ما سمعنا أن برلماناً حاسب الحكومة على خطأ واحد أو رفض مشروع
تقدمت به الحكومة .

٣ - تاريخ برلمانى

برلمان (١) سنة ١٩٢٤

(١) بعد أن أصدر يحيى باشا ابراهيم الدستور وقانون الانتخابات تشكل البرلمان المصرى الاول وشكل الوزارة سعد زغلول وانتخب مظلوم باشا رئيس مجلس النواب .

(٢) فى ١٣ - ٣ - ١٩٢٥ أجريت الانتخابات بمعركة زيور باشا وقد كتبت (المانشستر جرديان) تقول (إن كل حزب مصرى يدير الانتخابات يتلاعب فيها ولا يستثنى من ذلك أنصار زيور باشا والغالب فى الانتخابات المصرية أنها نزاع شخصى .

(٣) من خطبة العرش فى البرلمان الزبورى .

تعلنون أن مجلس النواب السابق قد حل بناء على ما وضح لدينا من ضرورة استفتاء الأمة طبقا لنصوص الدستور فيما بدا من الاختلاف بين وجه نظر غالبية هذا المجلس ووجه نظر الوزارة السابقة فى صدد معالجة الحالة السياسية التى ترقبت على الانذار الانجليزى (٢) ، وقد أجريت انتخابات جديدة أسفرت عن تأليف المجلس من حضرات النواب المائلين فى هذا المكان .

(١) مما يؤخذ على سعد زغلول أنه لم يحدد فى خطبة العرش الأول (١٩٢٤) المسألة المصرية تحديد واضحا ليقاوم ينس على مسألة السودان فى صراحة وجلاء ، ولم يتوسع فى الاهداف لوطية كما ينبغي باعتبار النظام البرلمانى ثمرة الثورة ، ولما فاتته النواب أصر على موقفه كمادته فى العهد ، وأصر على نصوص الخطاب وهدد بالاستقالة ، فصلا عن أنه لم يعرف عنه أنه طالب بالسودان ، بل كانوا يسخرون من الحزب الوطنى وبعد أن حاربه سعد وهو وزير للحقانية فى شخص محمد فريد ، وحاربه فى شخص الدكتور محبوب ثابت وغيره واسقطهم فى انتخابات سنة ١٩٢٤

(٢) الانذار الانجليزى الموجه لوزارة سعد بعد مقتل السردار

وأورد في هذا الموقف أن أبدى مزيد الأسف على الاعتداء المشنوم الذي كان سببا لهذا الإنذار .

وأود أن أبدى لحضراتكم أن العلاقات مع الحكومة الانجليزية وقد كانت تأثرت بسبب هذا الاعتداء قد أخذت في العودة إلى مجراها العادي من المودة والصفاء .

إن هذه الوزارة قد تألفت على أثر استقالة الوزارة التي كانت حائرة الثقة غالبية مجلس النواب السابق . وقد أفرغت قصارى جهدها في السعي بقدر ما وفقت إليه لتحقيق الأثر الذي يترتب على إنذار الحكومة الانجليزية ولم يثنها ما يشغلها من الجهد في هذا السبيل عن أحكام تسليح زمام الأمر في داخلية البلاد .

ولنا لندرجو أن يحسن التفاهم بين البرلمان الوزارة لتتوصل حكومتنا إلى إزالة ما نرتب من التغييرات والقيود المترتبة على إنذار الحكومة الانجليزية حتى إذا انتهت بعون الله القدير من هذه المهمة كان لها أن تتحين أنسب الفرص للعودة إلى المفاوضات والسعي في سبيل استكمال استقلال مصر والسودان بما يتفق مع وضوح حقنا وعدالة قضيتنا .

(٤) وبعد أن أخذ النواب في اختبار رئيس المجلس وسكرتيره حسب اللوائح والتقاليد البرلمانية تلى أحمد زيور باشا المرسوم الصادر بمحل مجلس النواب (ولم يجتمع المجلس غير جلسة واحدة) على أن يدعى المندوبون لانتخابات جديدة في ٢٣ - ٥ - ١٩٢٥ . ويجتمع مجلس النواب الجديد ١ - ٦ - ١٩٢٥ .

(٥) أسباب حل المجلس .

كان المنتظر أن يسفر انتخاب مجلس النواب عن اختيار ثروت باشا رئيسا له ولكن لما اختير مع عددت الوزارة ذلك الانتخاب دليلا على اتجاه التيار في المجلس ضدها فرقع الوزراء استقالة الوزارة وهذا بعض ما جاء بها .
ولما شرفنى مولاى باصدار أمره إلى بتشكيل وزارتى الأولى رأيت وجوب

استفتاء الأمة في شأن السياسة التي جرت على البلد تلك النكبات والمكوارث والتي أقر زعيمها بعجزه عن القيام بمهمته ، فعرضت على مولاي حل مجلس النواب وأمر جلالة بذلك وقد حصص الانتخابات الجديدة وعلى أثرها قدمت استقالتي فأمرتموني جلالتكم بتشكيل وزارة جديدة برلمانية فشكلتها من زملائي الذين تولوا معي أعباء الحكم وبجرد انعقاد المجلس وقبل بحثه برنامج الوزارة التي تضمنته خطاب العرش ظهرت في المجلس روح عداوية تدل على الإصرار على تلك السياسة التي كانت سبباً لتلك النكبات التي لم تذهب البلاد من معالجنها وقد بدت تلك الروح جليلة في أن المجلس اختار لرئاسته زعيم تلك السياسة والمسئول الأول عنها .

وبما أن هذا التصرف من نتيجته أن يجعل مهمتنا في القيام بواجبنا نحو بلادنا مستحيلة وليس في وسعنا أن نأخذ على عاتقنا ما قد يجره من الأضرار العظيمة لسلامة البلاد وغضبها ، لذا أتشرف برفع استقالتي واستقالة زملائي :

أحمد زيور ١٩٢٥ / ٣ / ٢٣

(٦) وقد انتهى أمر هذه الأزمة بحل البرلمان وبقاء الوزارة ، وقد كان الموقف السياسي في هذه الفترة يتلخص فيما يلي (١) .

أحزاب متنافرة بعضها يسعى في قتل الحياة النيابية وبعضها يدافع عنها ، ومساع تبذل من كل فريق لتأييد نظريته ودسائس تدس في الخفاء واستظهار بالقوة والعنف وان يتظاهر به الحزب الغالب الذي يده الأمر ، وكل حزب يرمى الآخر بالخيانة وإضاعة البلاد ، شتائم وتهم تتقاذفها الأحزاب ومثالب ومعايب وأكاذيب تخلق وأعمال ونكبات تدبر لا يقاع كل فريق في أسوأ ما يتمناه عدو لعدوه .

(٧) كانت الصحف تطالب الوزارة بإعادة الحياة النيابية التي ساءت عهدها بعد أن اعتدت عليها دفتين وحلت مجلس النواب مرتين وكان حزب الاتحاد المنشئ حديثاً يعمل على تعطيل الحياة الدستورية حتى قالت جريدة الاتحاد أن الدستور هبة للأمة أي أنه يجوز الرجوع فيه

(١) هذا البيان بقلم أحمد شفيق باشا - وتفصيل الحوادث السياسية في الكتاب للقبلي (الأحزاب السياسية والزعماء)

(٨) دعت الأحزاب المعارضة إلى عقد مؤتمر وطني ، وقد عبرت عنه جريدة كوكب الشرق بأنه فكرة عامة لم يقصد أحد أن يحرم من الدعوة حزب من الأحزاب للنظر في الطريقة الموصلة إلى عودة الحياة النيابية

ثم تطورت الفكرة إلى دعوة البرلمان بمجلسية إلى الانعقاد يوم السبت ١٣ / ١١ كما تقضى بذلك نصوص الدستور ، وقد اجتمع الحزب الوطني في ١٣ وإصدار قراره بوجوب اجتماع المجلس القديم بعد أن صار أمره باطلا وملغى ، ودعا أعضاء مجلس النواب والشيوخ وكل من ينحونهم أن يذهبوا إلى دار البرلمان يوم ٢١ - ١١ ، وكذلك وقع النواب السعديون في ٢٠ - ١١ اجتماعا أعلنوا فيه أنهم متمسكون ببيانهم إلى الأمة التي لم تفارقهم وأنهم لا يفترقون عن محاولة الاجتماع ما وجدوا إليه سبيلا

وأصدرت الحكومة أمرها بمنع كل اجتماع داخل البرلمان بالقوة ، أوفي أي مكان آخر وكلفت الجيش لأن يصدر الأوامر بإطلاق الرصاص في حالة الامتناع عن التفرق وتوعدت الطلبة بالعقاب الشديد

وقد اجتمع البرلمان في فندق الكونتنتال في ٢١ - ١١ وأصدر قراراً بالاحتجاج على تصرفات الوزارة المخالفة للدستور على منع الأعضاء من الاجتماع في البرلمان بقوة السلاح .

وهكذا هيئت تصرفات الوزارة للأحزاب الفرصة لاتحادها بدأ واحدة ضدها (٩) ثم شكل برلمان الأحزاب المؤتلفة بعد استقالة زيور (١) في عهد وزارة ثروت ورأس مجلس النواب سعد زغلول ثم شكل صدق برلمانه بعد إلغاء دستور ١٩٢٣ وإنشاء الدستور الجديد سنة ١٩٣٠ وقد امتنعت الأحزاب عن الاشتراك فيه ثم انشأ برلمان النحاس ١٩٣٦ الذي صدق على معاهدة (الشرف والاستقلال) ثم شكل برلمان محمد محمود والأحزاب المعارضة للوفد (١٩٣٩) ثم ألف برلمان سنة ١٩٤٢ ثم برلمان ماهر ١٩٤٤ المكون من السعديين والأحرار والكتلة والذي قاطعه حزب الوفد

الانتخابات

(١) ارتفعت (١) الشكوى طيلة عشرين عاماً أو تزيد من أن الانتخابات ليست مقياساً لذوى الكفاءة والمقدرة على خدمة المصلحة العامة إذ أن المشاهد من نتائجها - في كل العهود أنها تبعث في الغالب الأعم إلى البرلمان بأعضاء كل ميزتهم في الأقاليم أنهم من ذوى العصبة المحلية ، وفي المدن أنهم من كبار الأثرياء ، وينصب رجال الإدارة سواء في المدن أو في الأقاليم دوراً هاماً في الترجيح بين المرشحين في الدائرة الواحدة ، الذين تتوافر فيهم إحدى الصفتين المتقدمتين

(٢) إن الأحزاب في الأغلب تقدم للبرلمان مرشحين لا يفهمون شيئاً في قضية الوطن ولا يعرفون من أمور السياسة إلا بعض قشورها ، وإنما هم في الأغلب من الأغنياء الذين (يفتكون الخط) ولا هم لهم إلا تأييد أحزابهم والسكوت التام . .

وإذا درست محاضر جلسات المجلسين لا تجد عدد المتكلمين في البرلمان يزيد عن خمسة أو ستة أفراد هم دائماً الذين يتداولون البحوث ، بعضهم يمثل المعارضة أما باقي هذا العدد العديده فانه ينساق دائماً وراء حزبه فيؤيده فيما يعرضه هذا التأييد الذي لا يرقى إلى المهمة الكبرى ، والهدف الرفيع ، الذي يمثلته النائب في مراقبة الحكومة والاشراف على أعمالها وسر ذلك أن الترشيحات للانتخابات تأتي مرتجلة حسبما تكون ، فضلاً عن أن هؤلاء النواب لا يستجيبون للبرامج الطويلة اله بيضة التي يلصقونها على الحوائط إبان الانتخاب والتي لا تكون إلا كإعلان ودعاية لحسب ، وقد تتحقق بعض المصالح الأفراد من الانصار والأعوان والأقرباء ، ولكن المصالح العليا التي تتعلق بالوطن وبالاصلاح الاجتماعي والاقتصادى فانها قلما يتحقق منها شيئاً .

(٣) جرت التقاليد أن تضيق الحكومة على المرشحين الذين يعارضون من الأحزاب الأخرى. إنها تستعمل القوة لاضطهادهم ، وتمنع تبعاً لذلك الاجتماعات الانتخابية والمظاهرات أحياناً ، بل وتمنع تواجد الناس أمام منازل الناخبين ومن هذه السكامة التي نشرتها الأهرام في ٥ فبراير ١٩٢٥ اثنين مدى هذه الروح (كانت الأوامر تصدر جهرية ومن الرجال الإدارة بما كسبه هؤلاء وأتباع مختلف الطرق المؤدية إلى خذلان مرشحي حزب (. . .) حتى تعموا أن يكتسبوا أسماء المرشحين في كشوف مع أناس لا يعرفونهم ولا صلة لهم بهم حتى لا يستطيعون الانفاق منهم على انتخاب المندوبين الثلاثين ممن يشقون بهم)

(٤) تسير التقاليد على أساس عجيب ، فتكون المسألة في الأغلب مسألة مباينة وللانتخابات سياسة لشراء الأصوات وفي كثير من الأحيان يأخذ الناخب الثمن ويقتخب مرشحاً آخر وهكذا تكون (المعركة التي يراء معرفة رأى الأمة من خلالها ، وهذا تمثيل الشعب وإحترام إرادته وهذه هي آثار الحزبية التي قامت على الهوى والغرض (١))

(٥) بلغت الطعون الانتخابية في الانتخابات الأخيرة ١١٤ طعناً وهو أكبر رقم في الانتخابات السابقة وجميع الطعون تحمل عبارة تدخل الإدارة ، ونال صدق باشا في انتخابات سنة ١٩٣٠ أغلبية ساحقة لحزب الشعب وكان إقبال الناخبين على الانتخابات بنسبة $\frac{٧}{٨}$ ٩٧٪ وفاز محمد محمود في الانتخابات التي أجراها بأغلبية ساحقة سنة ١٩٣٨ وفاز كذلك للحزب بأغلبية ساحقة في الانتخابات التي أجراها ١٩٤٢ وقاطعها جميع الأحزاب وأجرى ماهر باشا انتخابات ١٩٤٥ وفاز فيها بنصف مقاعد البرلمان وهكذا تسفر الانتخابات في مصر دائماً على فوز حزب الوزارة التي تجريها .

(٦) تستعمل دائماً وفي الأغلب أساليب الضغط ، والتدخل من رجال الإدارة وحجز التذاكر ، وعدم قيد أسماء الناخبين ، وقد ابتدعت أخيراً بدعة الدائرة المقفولة

(٧) وأشد من هذا ، وأقسى ، هو منع المرشحين من دخول الانتخابات وتهديدهم ، كما حدث سنة ١٩٤٢ مع الأستاذ حسن البنا وكما حاول أحد رؤساء الحكومة مع صالح حرب باشا سنة ١٩٤٥ والأستاذ علي البربر أيضا وكانت أصابع الانجليز هي التي تفرص هذا وتأمر به فقد حرص الانجليز على حجب بعض الشخصيات المعتزة بالخلصة من دخول البرلمان وهددوا وحاولوا دون دخولهم بالسقاطهم .

(٨) أليس من العجيب أن من يزور سندا بقيمة بسيطة تقبض عليه النيابة ، ويقف في قفص الانهمام أمام القاضي ، وينتهي به الأمر إلى السجن ذليلا مهينا وأما من يزور إرادة أمة ويضيف اختيار شعب فليس له إلا مقاعد الحكم يتربع عليه مكرما معززا شريفا أمينا .

ومن العريب أنه ما من مرة يطالب فيها حزب بأجراء انتخابات حرة ، إلا وكان هذا الطلب مصحوبا بأن تتولى الانتخابات وزارة محايدة ، أليس هذا طعنا في نزاهة كل رئيس وزارة حزبي (١) ؟

(٩) عدم قدرة البرلمانات الحزبية المتوالية على استعمال الشجاعة الأدبية في النظر في الطعون المقدمة وضعف مجالسنا النيابية عن الارتفاع عن مستوى السياسة الحزبية الجائحة إلى عدالة القضاء .

(١٠) حدث العيب بقدمية الانتخابات في عهد أول وزارة دستورية سنة ١٩٣٤ في إعادة الانتخاب في دائرة البربا (محمد محمود باشا) وذلك في عهد سعد زغلول فقد انتقل وكيل مديرية أسيوط للإشراف على الانتخابات ولم تترك للانتخابات حريتها ، وبهذا ضرب سعد المثل لمن جاء بعده في التدخل بقوى الإدارة والضغط العسكري للحصول على نتائج غير برتبة .

(١١) كان العيب الانتخابي سببا في أن يتأخر الأكفاء ويتقدم الأغنياء ذوي السلطان المادي وبذلك خسر البرلمان الكفاءات المثقفة والشخصيات

للنادرة الممتازة التي تؤمن بالمثل العليا وتأتي التورط في دسائس الانتخابات وأسوأها وأعمال السامسة وشراء الأسواط ، وكذلك عزف الشباب المثقف عن استعمال حق الانتخاب وعطلة وبذلك انقطعت الطبقات المتعلمة عن النيابة وعن استعمال الحق الانتخابي أيضا .

(١٢) تأثر الانتخابات بالاعتبارات الشخصية وبعدها عن المبادئ ودوران المعركة بين أحزاب لا تتحدث عن برامجها ، وعبودية النائب للناخب واضطراره إلى إجابة طلبات الناخبين الشخصية واشتغاله بقضاء مصالحهم عند المحاكم .

(١٣) قال بعض المرشحين المستقلين أصواتنا أكثر من مرشحي الأحزاب ، وهذا يدل على لجر جديد واقتناع جديد .

(١٤) يسرف المرشحين في محابة الناخبين بدق الطبول وإقامة الحفلات حتى أصبح الانتخاب فن قائم بذاته له قواعد وأصول عمادها المال والجاه وتتراوح مصاريف الانتخابات بين ٧ آلاف جنيه و ٢٠ ألف جنيه ، تصرف في شراء أصوات وإقامة ولائم ، وإحضار مغنيين ، وطبع مطبوعات وما يدفع للسامسة والمشروبات والانتخابات وعود وأكاذيب .

نمذبل نظام الانتخابات

(١) اقترح السهنورى باشا (التصويت العددى) وهو نظام يكون فيه للناخب أصوات بعدد مؤهلاته فالحاصل على الدكتوراه لا يسوى بالحاصل على الابتدائية ، والمتعلم صاحب العمل لا يوضع إلى جانب المتعلم المتعطل فيكون للأول ثلاث أصوات وللثاني صوت وللثالث صوتان .

(٢) واقترح آخر لضمان حرية الانتخابات ونزاهتها وضع نظام البطاقة الشخصية لكل ناخب ويراعى في نظام الاقتراع المام الناخب بالقراءة والكتابة حتى تضمن أولا أن لديه وسائل الثقافة وبذلك يمكن التأكد من سرية الاقتراع وصحة الانتخاب .

(٣) يحسن توالف الثقافة في المرشحين ، وتفضيل الأعمال على السلطة الشخصية

- (٤) يجب أن تكون الممارك الانتخابية سبيلا لتنافس المبادئ والمذاهب
لافضالا حول الأشخاص أساسه القذف والسب والانتقام
- (٥) يجب أن لا يرشح نفسه إلا كل كفء قادر على خدمة البلاد فلا تصبح
النيابة نوعا من الترف والوجاهة ولكن تكون خدمة وجهادا وتضحية
- (٦) أن يعتمد المرشح عن الوعود الكاذبة والنفاق وسب الخصوم ورشوة
الناخبين وعلى الناخب أن يفضل المخلصين الأكفاء أصحاب المبادئ السامية
ولا يتأثر بالكلام المنمق والوعود الخلابية ، ولا يبيع صوته بالمال
- (٧) تحدد الدوائر الانتخابية تحديدا ثابتا ويكون التصويت اجباريا

الأحزاب والبرلمان

... كان (١) لزاما على الوزارة (٢) الجديدة أن تحل مجلس النواب القائم
حينئذ ... والوزارة الجديدة تريد أن تعتمد على مجلس يضم أنصارها ، فيجب
إذن حل المجلس القائم وإجراء انتخابات جديدة وأن تنمخض هذه الانتخابات
عن نواب يؤيدون الوزارة الجديدة . وهذه هي التقاليد البرلمانية في مصر
صحيح أن الدستور يقضى بوجوب بقاء مجلس النواب قائما بوظيفته النيابية
فترة من الزمن لا تزيد عن خمس سنوات ثم يحل المجلس في ختامها
(أما في مصر) ... ، فالمجلس النيابي يجب أن يحل إذا سقطت الوزارة وعلى
الوزارة الجديدة أن تدعو لانتخاب مجلس جديد ، ولو كان المجلس القديم لما
تمضى عليه غير دورة برلمانية واحدة . وتقول التقاليد الدستورية أن مجلس النواب
رفيق على أعمال الحكومة ولكن تقاليدنا الخاصة يقول أن الحكومة رفيعة
على المجلس النيابي ، ومن شأنه الرقابة التي للمجلس النيابي وفي بلاد غير مصر ،
إن لهذا المجلس أسقاط الوزارة بالاقتراع على عدم الثقة بها

(١) من كتاب (مقطعات في الانتخابات) للاستاذ حنفي محمود جمعه

(٢) وزارة أحمد ماهر

والكن تقاليدنا قلبت هذا الوضع الدستوري . فالحكومة هي التي تقترح على عدم الثقة بالجلس النيابي ، ولهذا نجد الوزارة ترى أن تحل المجلس قبل أن تباشر مهام وظيفتها وقد حدث غير مرة إن كانت الوزارة القائمة في دست الحكم غير معتمدة على أغلبية تؤيدها لأن رئيس الوزارة لم يكن ينتمى إلى حزب من الأحزاب ، ولكنه مع ذلك كان يقوم بأعمال وزارته خير قيام ولم يكن يخشى بأس مجلس النواب على الإطلاق .

وكثيرا ما قامت الأزمات بين المجلس والوزارة وكانت الأخيرة منتصرة دائما وعلى طول الخط إذ كان يكفي أن يلوح رئيس الوزارة بأنه يملك حق حل المجلس فترمد فرائص النواب ويخشون مرا كبرهم فيبتلعون لغابهم ويقضون على معارضتهم ويمتدحون السلم ويقبلون من الوزارة كل خططهم السياسية (١) ولهذا قيل أن كل وزارة تعتلي كرسي الحكم تبادر إلى حل المجلس القائم واجراء انتخابات جديدة ، وأصبحنا نحن المصريين نقبل هذا الوضع الفاسد مع علمنا بفساده ، ولكنه فساد أصبح عادة ومن العادات ما هو مبتذل مجوج ومنها ما هو محترم محبوب .

ومنذ الأخذ بالنظام النيابي الحالي لم يحاول أى مجلس أن يقترح على عدم الثقة بالوزارة لأن أعضاء الوزارة ينتمون إلى أحزاب الأغلبية وهذه الأحزاب ترى وجوب احتفاظها بالحكم ومعنى الاقتراع بالثقة سقوط الوزارة المنتمية إلى هذه الأحزاب .

فإذاً يجب عدم عرض مسألة الثقة هذه أى حال من الأحوال ويجب أن تظل الوزارة موثوقا بها حتى تقوم أزمة من الأزمات تقضى على الوزارة فينفض المجلس النيابي .

ويدعى الحزب الذى قاطع الانتخابات إلى تشكيل الوزارة فيشترط لذلك حل المجلس فيجيب إلى طلبه .

(١) هذا ما حدث عند تأليف وزارة صدق باشا فقد أعطاه البرلمان الثقة

كان المظنون أن وزارة النحاس باشا ستظل في كراسيها وكان المقطوع به إنها ككل وزارة تبي الحكم في مصر تعتمد في بقائها مستقرة في مناصبها على جهة أجنبية . . . وإنما ما دامت هذه الجهة راضية عنها فسيطول أمدها رغمًا من توتر العلاقات بين الوزارة وبين السراى توترا بلغ أقصى مداه . . . اهـ

من الاستاذ فكرى أباط

إلى نواب البرلمان الأول سنة ١٩٢٤

(١) أن جال بخاطركم أن تستغلوا كراسيكم من الوجوه المالية فارتفعوا النظر منى (ألواح) المخرجين تروا فصل الدول ارافقة تحسنى في وجوهكم لتنقل لبلدانها وصفا مسجبا عن روحكم المعنوية والمادية ويود كل مصرى أن يقال عن نوابه : أنهم حضروا من أقاليمهم للاستقلال لا للاستقلال ؟

(٢) قرروا لكل عضو ٦٠٠ جنيه في العام . . . ولو كنتم معي أيها القراء ورأيهم وجوه الأعضاء وقد سرت فيها حمرة الفرح بمبلغ لسناته وغيوتهم قد لمعت لمعان الذهب الوهاج وثغورهم قد تمت عن قلوب ضاحكة

هنيئا لكم عرق العلاح البسيط يستحيل ذهبها فينتقل من الجبين إلى الجيوب . ومن ثوبه الآن رق البالي المرقع إلى أثوابهم الرشيقه ، هنيئا لكم الجاه العريض والمربى الضخم .

أتدرون ما هو الأثر الخطير الذى سيمرتب على هذا القرار ؟
ستصبح المعارك الانتخابية في المستقبل حامية متأججة ، جهنمية ، شيطانية لأن عنصر المادة فيها يبرز أحاذ جذاب
وفي مثل هذه المعارك الحامية المتأججة للجهنمية الشيطانية يسقط ذور الكفاهات وأرباب العقول وينتصر الأميون وأشباه الأميون وتضحى مصلحة الوطن

تحت قبة البرلمان

إنشاء برلمان من هئتين تكون له السلطة السامية على أعمال
الحكومة وتكون الحكومة مسئولة أمامه

١٩٣٣/١/٢٨

نروت

(١) وظيفة البرلمان تشريع ورقابة للسلطة التنفيذية ، فالتشريع للامة مالا
يتطلب سوى كفايات تخرج هذا التشريع سواء أكان عددا لامة صغيرا أو كبيرا ،
والمرقبة كذلك تدعوا إلى إيجاد نواب يكون عددهم كافيا لمراقبة الأعمال التنفيذية
والسهر على تحقيق العدل بين الناس فالنائب يحكم الدستور وكيل الامة جمعا
لأنائب دائره يعينها

(٢) ولكن الواقع هو العكس وأن البرلمان بطريقة إنتخابه الحالية لا يعبر
عن هذا المعنى ولا تعتبر الحكومة بمثله أمامه ، فطريقة الانتخابات كما وصفنا ليست
سليمة تماما ، وأعضاء البرلمان عادة من أنصار الحكم القائم ومؤيدوه ومداولات
للبرلمان لا تتعدى عدد قليل عرفوا لطول تكرار أسماهم في كل دورة برلمانية
بالمصايل والنضال ، وعرف أن كثيرا من النواب ينتخبون بسلطانهم الربيعي في
دوائرهم على طبقات الفلاحين والعمال والشعب ، في الوقت الذي يعد فيه أصحاب
الآراء والأفكار والممتازين من ذوى المبادئ ، ويصل تدخل الانجليز إلى حد
أنهم يحولون بين الفكرة الإسلامية وبين الوصول إلى البرلمان ، والنواب يجاملون
الحكومة لأن لهم مصالح خاصة ، والحكومة تجامل النواب ليكونوا في صف
الأحزاب القائمة في الحكم .

(٣) لا يمثل البرلمان الفكرة الإسلامية ولها الآن سلطانها القوى وكيانها
الزاحف في كل ميدان ولا يمثل الطوائف الفقيرة ولا الطبقات المتوسطة ولذلك
فلا يرتفع صوت لاصلاح حال العامل (١) أو المزارع إلا ويخمد هذا الصوت

(١) مشروع خطاب بك في مجلس الفيوخ ٢٦-٦-١٩٤١ وما قول به من الوزراء
والنواب ، رغم أنه مشروع معتدل يرى إلى رفع مستوى الفلاح ومحمد من نضم الملكيات ويهسر
السبل للمزارع الصغير للحصول على ملكيات صغيرة ترفع عنه جامحة العوز والفقر

ربما وذلك لقلبة روح الارستقراطية والرأسمالية على اعضاء البرلمان ، فضلا عن عدم تمثيل طوائف الثقافة كالجامعة وغيرها

(٤) الاستقلال (١) في جوهرة ولبه هو السيادة التامة للبلد المستقل على ما فيه ومن فيه والجيل الحاضر لم يفهم الاستقلال على هذا الوجه ، بل فهمه على أنه بيانات تذايع وراثيق تحرر ، وحفلات تقام ورضى الجيل الحاضر بهذه الأوضاع وطابت نفسه ، فأخذ جذوة الجهاد في قلبه وكاد أن يخمدها في قلوب أمته

... والنظام النيابي ليس غاية في ذاته وإنما هو وسيلة غايتها أن تحكم الأمة من أبنائها من هو أدنى إلى ثقتها ، وأقدر على حكمها حكما يقوم على المشورة والحرية والعدل والمساواة

ونظرا لما بين الأمم من خلاف في درجات المعرفة والثقافة والخلق والتقاليد فإن هذا النظام قد يحقق هذه الغايات في أمة ، ويخفق في تحقيقها في أمة أخرى فيكون خليقا بأن يبقى حيث نجح ، أما حيث أخفق ، فالتحيز في أن يراجع وأن يعدل

... والجيل الحاضر لم يفهم النظام على هذا الوجه ، وإنما فهمه على أنه انتخابات تجري ونواب يظفرون بشرف النيابة ، وحكومات تقوم الواحدة بعد الأخرى على أساس من أغلبية برلمانية أما أن يكون من وراء ذلك ما ينبغي أن يكون من حكومة قوامها المشورة والعدل والحرية والمساواة ، فذلك ما لم يصب من الجيل الحاضر حقه من العناية

(٥) إذا (٢) ما ابتلى بلد ما بنواب أو أحزاب لا تناضل ولا تتطاحن في سبيل مصلحة عامة وإنما تنحصر كفاحها في سبيل المصلحة الخاصة أو الفوز الحزبي لذاته ، خرجت هذه الأحزاب عن طبيعة وجودها إلى غير الوكالة التي

(١) الأستاذ مصطفى مراد

(٢) محمد علي طلحة يافا في كتابه (مبادئ السياسة المصرية ص ١٠٢)

التي أوتئمن النواب عليها ، وانقلبت الحال من استبداد الفرد إلى ما هو شر منه وهو استبداد الطوائف والجماعات

وقد وضع من هذا أن الحياة البرلمانية وسيلة لا غاية فلا تؤتى ثمرتها ولا يتحقق الغرض منها إلا إذا حقق نواب الأمة الغرض من نيابتهم .

وتحقق هذا الغرض يتطلب أن يكون للناخبين (إرادة سليمة) والنواب (مناعة حلقية) تلك المناعة التي يجب أن تقف سدًا منيعًا أمام المفاسد والمخريات وتقضى أن يكون النائب في نيابته قوة قدسية ، كما يكون القاضي في قضايته .

وتلك القوة القدسية التي تجعل الناس يركعون إلى عدله وبهذا يقوم الملك ويستقيم العمران أما إذا خرج النواب عن مأذونيتهم واستغلوا نيابتهم لمصالحهم فإنهم يصبحون أداة شر وفساد ويكون أفعلم أكثر من نفهم .

... والوطنية ليست شيئًا سوى تضامن أفراد الأمة في الدفاع عن كيانه المجموع وشرفه يضحي كل فرد براحته وماله ودينه في سبيل مصلحة وطنه ، فإذا كان ولاه أمور فاسدة ظالمين واستبدكان المحكومين لهذا الظلم واستساغوه فكيف تظن أن فردا من الأفراد يضحي بشيء في سبيل معالجة هذا المجموع الفاسد . . . إذا انصل الفساد بنواب الأمة وولاه أمورها فليس الذنب ذنب

الحياة النيابية نفسها فهي أرقى نظام يجب أن يتمسك به الناس إلى الآن ، إنما الذنب ذنب وكلاء الأمة نوابا وحاكمين ، أولئك الذين أهانوا الوكالة نفسها .

.. وقد كانت الحياة النيابية في أغلب بلاد العالم في بدايتها حياة استغلال وتجارب قاسية فكان النواب يسعون في إرهاب حكوماتهم لمصالحهم الشخصية في المحاباة والمحسوبية والمنافع الخاصة . وكان الناخبون بدورهم يدفعون النواب إلى السعى وراء مصالحهم الإقليمية أو الشخصية وكان الوزراء يخشون النواب وأحزابهم وبضعفون أمامهم قصد استمالتهم وضمان الثقة بهم .

وكان النواب من جهتهم يخشون الناخبين ويعملون على رضاهم حتى يفوزوا بتأييدهم ، حين تجديد الانتخابات وكان النائب يعمل ذمته تحت إرادة الوزير حتى يفوز بمقعد من المقاعد المتواصلة وكان النواب والناخبون يرهقون الوزراء بالطلبات المتكررة في أنديةهم ودورهم وأندية أحزابهم .

(٥) فقد آن روح النيابة الصحيحة والتقدير السليم للمسائل والشعور الكامل بالمسئولية واحتمال التبعة وتقديرها وجعل مسألة الوطن وأمور الأمة فوق صداقة البرلمان للوزارة أو فوق مصالح النواب الخاصة . ومسألة شراء أصوات الناخبين يجعل النيابة وقفاً على الأغنياء ويدحر أصحاب الكفاءات ، ويقدم للبرلمان الأغنى لا الأحسن .

(٦) ولهذا الأسباب يعتقد بعض النواب أن النيابة وظيفة شرفية ولو درى أمثال هؤلاء لعرفوا أنها محنة وأنها تكليف وأنها مسئولية ضخمة بالغة ، وأن النائب يجب أن يشعر بقدر التبعة الملقاة على عاتقه في محاسبة الحكومة ومراقبة الوزارة .

(٧) النظام البرلماني والنيابي نظام يتفق مع الاسلام ولا يختلف معه ولكنه في حاجة إلى تعديل لقانون الانتخاب بحيث يستوفي كل ما ذكرنا من أوجه النقص على أن يستجيب أول ما يستجيب البرلمان لنداء الفسكرة الاسلامية اليقظة والدعوة الاسلامية التي يدوي صوتها الآن في كل مكان وتغلب روحها على معالم المجتمع والاقتصاد والسياسة .

عَمُودٌ إِلَى وَطَنِيَةِ الْجِهَادِ

بعد ربع قرن في مناورات السياسة

مقائيل ناصف

(١) كان هذا الربع قرن كافياً ليكشف أمام بصيرة الشعب حقيقتان عزيزتان ، أولاهما أن الانجليز أعداء ظلة لجزء ، طالما أساءوا إلينا وتركوا في قلوبنا جراحاً دامية وأثارة سيئة وألاماً عميقة الغور ، وندوباً ما تزال تنزف ، منهم الذين قتلونا في ١١ يونه ١٨٨٢ وفي ١١ يولييه ١٨٨٢ وفي دنشواي وفي العزيزية وفي الشوبك وهم الذين ضربوا شبابنا بالرصاص في ثورة ١٩١٩ فهم الذين حصدوا الشباب المؤمن بحق وطنه في سنة ١٩٣٥ مرة وفي سنة ١٩٤٦ مرتين الأولى بيد الانجليز والثانية والثالثة بيد المصريين ، فنحن لذلك نكرهم ونخاصمهم ولا تحمل لهم في نفوسنا إلا المقت والاذدراء ، والتاريخ يشهد أنهم لم يخلصوا النية لنا يوماً واحداً ، ولم يعاملونا مرة واحدة على أساس الاقرار بكرامتنا وعزتنا ، ولم يكونوا صادقين مرة واحدة في وعد وعدوه ، بل كانوا يبسمون دائماً ومن وراء أنيابهم سم الشعبان وغل الظالم وحقد المستبد واعطالما خدعونا بالأكاذيب والوعود والتصرّحات ولم يصدقوا في وعد ، ولم يحققوا رجاء ونكشف لنا بعد هذا الربع قرن أنهم لا يريدون لنا أى خير ، ولا يريدون بنا إلا الاغتصاب الدائم والاستعباد المقيم والأذلال المستمر بأساليب بهلوانية وطرق كلها مناورات ومداورات ومحارلات والقصد الأول والمرمى الاصيل في أنفسهم قائم ، وما هذه الألفاظ والأساليب والمعاهدات والمحادثات والمفاوضات إلا وسائل لتخدير الشعور اليقظ ولقتل الروح الوطنية ولتخطيم معالم العزة وتوجيه الشعب وجهة القناعة بالذل والرضى بالعبودية والانصراف إلى المطامع الفردية الدنيوية القاصرة .

وأنهم لا يكتفون لنا إلا سوء النية والحقد البالغ على الأحرار والدعاء
والصرخاء والمخلصين لأوطانهم ، وأنهم يكيدون لهؤلاء العاملين أشد الكيد
ويحاولون تحطيمهم واعتقالهم ونفيهم وتسليط أساليب التهديد والوعيد عليهم
بعد أن أعيتهم الحيل في اغرائهم بالمال وغير المال ، وقد أتقن هؤلاء الانجليز
أساليب الاستعمار واستطاعوا بالمال وبالمرأة وبالمناصب وبالوعود وبالمنظارات
يحطموا الكرامة وأن يقتلوا العزة وأن يصرفوا الأحرار عن جهادهم فتلين
قلوبهم وتطمئن نفوسهم وينقلبون من العداء والخصومة واللدد للانجليز إلى
الصداقة والود والحب والولاء ، وهم لا يعملون إنما باعوا أنفسهم وضمايرهم
بالمال والتضار ورضوا بالأدنى عن الأعلى ، وقصرت هممتهم في مضمار الجهاد
والنضال ولم يقبلوا الاحتمال في صبر واطمئنان انتظاراً لوعداة ينهر المجاهدين
(حتى إذا استبأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أنهم نصرنا)

ولا يعلم هؤلاء الذين ركم الانجليز أفواههم بالمال أنهم أصبحوا عبيدا
أشترام العدو وأنهم خسارة في كفة الوطن ، وأن العدو الذين يظنون أنه
بصادقهم ويمدحهم بالمال ، إنما ينظر إليهم نظرة السخرية والاستهتار والاحتقار
لأنهم أرقاء في الدين والوطنية والكرامة ، ولولا ذلك لما انساقوا في هذا
التيار المنحدر

هذا فضلا عن طبقة أخرى رضيت بأن تكون عيوننا للانجليز على الأحرار
ينقلون إليهم كل حركة وسكنة ، وكل كلمة ولقطة ، بالحق وبالباطل ، هؤلاء
هم الخونة الظلة الأذئاب الذين يدلون الأعداء على مواطن الضعف وثغرات
الوطن ، هؤلاء هم الذين أعانوا الانجليز على عرابي في موقعة التل الكبير
وفتحوا لهم الطريق إلى معسكره وإلى القاهرة وإلى القلعة ، وهم الذين يعملون
في كل وقت ليكونوا عيوننا على الزعماء والأحزاب والهيئات والحكومات
وسيعلم هؤلاء يوم نتحرر ماذا يكون مصيرهم وإلى أين يكون مألم يوم ينقلبوا
إلى ربههم .

علينا هذا الربع قرن أن الانجليز حاولوا أن ينقلوا الأمة من جهاد الوطنية

وكفاح الحرية ونضال الاستقلال والوحدة إلى دسائس السياسة ومؤامرات الحزبية ومساومات المفاوضات وجعلوا من أمور الوطن سياسة عليا لا يحق للشعب أن يعرفها أو يشترك فيها وأن تظل هذه الأمور تجري في كتمان شديد ومن وراء ستار

أما الثانية فانهم تقلبوا من الاحتلال السافر إلى الاحتلال المفضع وراء زعماء مصريين وأصبح هؤلاء الزعماء هم الذين يقامون الشعور الوطني ويحطمون الأهداف الوطنية ويحولون بين شباب الأمة وبين إعلان شعوره تجاه المواقف السياسية كالماهديات والمفاوضات والوزارات والبرلمانات وأن هؤلاء الزعماء الذين ورنوا بمجد ثورة ١٩١٩ قد صادقوا الانجليز وقبلوا التناغم معهم والتحالف أيضا ولم يقبلوا هذا فيما بينهم خاصة ، وإنما كان هذا التحالف وهذه الصداقة على حساب الوطن نفسه نخسر الوطن هذا العمر الطويل في المساومات والمداولات التي تنطوي من جانب الانجليز على سوء النية وعلى التلاعب بالألفاظ وعلى تحطيم القواعد الوطنية وعلى تركيز قواعد الاحتلال فضلا عن إدارة دولاب الحكم في مصر من وراء ستار يفرضون من يشاءون ويعزلون من يريدون ، ويقيمون العراقيين في وجوه العاملين ، ويهددون بالانذارات الطاغية ، ويحدثون الأزمات العنيفة ، ويفرضون سلطاهم كاملا على كل شيء ، على الجيش وعلى التعليم وعلى البرلمان وعلى الصحافة وعلى الاجتماعات .

ويهددون من الزعماء من يشرب إليهم ويسعون لهم ويناصروهم فيجعلوا منهم عونا على خصومهم وبلقون فيهم من يخافونهم أكثر مما يخاف الله ويخشونهم ، فضلا عن مناورات الأحزاب التي تمزقت من بعضها وانفصلت وقامت وراء أسماء زعماء لا وراء مبادئ . ولأهداف تقنع الرجل العاقل المثقف ، وتقارعت هذه الأحزاب ألوان الأكاذيب والممارات على صفحات الصحف ونزلت كرامة القلم من علياء سمائها إلى أبعد حدود الإسفاف ، وتنابد الزعماء بالألقاب وتناحروا على كراسي الحكم ، وأوجدوا فيما بينهم ناراب عميقة الفود ، وثاروا لما تهدأ ، وحال ذلك دون اجتماعهم على الخطر حين هجم ،

رامتنع معها التفاهم والوقوف جهة واحدة أمام العدو ، واستطاع العدو أن يوسع الشقة ، وأن يستعدى هذا على ذلك ، وأن يناصر هذا ويخذل هذا وأن يشارك هذا وهذا ؟ وتعرضت قضية الوطن لأبغ الخطر من جراء هذه الفقرة الشائنة والحصرمة العنيفة ، وتمزقت الأمة وراء هذه الأحزاب ، وانحدرت الأهداف الوطنية العليا من نفوس الزعماء والشعب والاتباع إلى مصالح فردية وأمور شخصية ورغبة في التشكيل بالحصم والوصول إلى مكانه وظل الأمر هكذا حتى دوى داعي السماء . وسمع صوت الوعي الإسلامي الجديد ، فنبه له الناس وآمن به الشباب وانسأقت وراءه الأمة . وعرفت مدى الخطأ البالغ في إيمانها بأن الخير لا يأتي على أيدي هؤلاء الزعماء المتناحرين المتناكرين حكفرت الأمة بهم ، وعلمت أنها العوبة الانجليز بفيه تمزيق الأمة الموحدة ، فتضامت الصفوف وتكامل الوعي ، وتبين الحق وقاد الشعب صفوفه بنفسه وزحف على أهدافه في قوة ويقين وإيمان وخصب فهمه وعرف أن له عدوين أولهما الانجليز الظلمة الغاصبين وثانيهما حسناهم وأذنانهم الذين يسرون في ركابهم ويبيعون الأوطان لهم ويمكنون لهم في البقاء وإلى هذين تتجه الجهود وتتضام الصفوف وتتكتل القوى وتترابط الحلقات لكفاحهما معا ونضالهما معا والله غالب على أمره .

(٢) كلما (١) أحست مصر ذل الأمر وأقرحها نقل القيد وقامت فيما صبيحة من الحرية أجابت انجلترا بتصريح باستغلال أو وعد بجلاء حتى لا تدع مجالا لتلك الفورة لتتحول إلى حركة شعبية أو ثورة عامة وبذلك استطاعت انجلترا أن تكبت الشعور الوطني وأن ترديه في تلك الحلقة المفرغة بين اليأس والرجاء بما مكّن لها الزعماء من انشغالهم بأنفسهم عن المثل العليا فقام منهم دعاة المسارعة على الحقوق والالقاء بالأمة في كنف الغاصب المستمر بحجة الصداقة التي لا غنى لمصر عنها والمصلحة المتبادلة المشتركة بين ندين الله يعلم أنهم لكاذبون ؟

أى صداقة يا معشر القوم ، أتخذعون أنفسكم أم تتخذعون أممكم والأجيال ؟
أتشكرون حاضر الاستعمار في مصر أم تشكرون ماضيه . أما حاضره القريب
لحسبه الأبرياء العزل الدين أرداهم في ميدان قصر النيل والاسكندرية دون
ذنب أو جريرة إلا المناداة بحريتهم ودعوتهم إلى استقلال أممهم .

أم تشكرون ماضى الاستعمار وصفحته المخضبة بدماء الشهداء والمجاهدين من
أبناء الأمة البررة ، أنسيتم أحوال المشائق ورصاص أبناء التاميز في صدور أبناء
النبل العظيم وهم في عقر ديارهم بين أبنائهم وأهلهم .. أنسيتم سيلان ومالطة
رسبشل .. أنسيتم دنشواى والمزبزية والشولك .

(٢) لقد (١) لقد عرفت الحرية في مصر أخيراً ، لونا جديداً من ألوان
التعسف والاضطهاد تشته الحكومات على طبقات الأمة ، اضطهاد هو أشد
هولاً وأكثر نكراً من اضطهاد المستعمر في عهد الحماية والاحتلال السافر ،
وأصبح ذلك سلاح كل حكومة الأكثرية أو الأقلية ما دامت مقاعد النواب
مقصورة على أذئاب الأحزاب وطلاب المنافع والغايات .

(٤) الانجليز (٢) مداورون بارعون ، حذقوا أساليب المساومة واللف
والدوران .. ولهم قدرة على حسن الاحتيال لما يبيغون والانتفاع بكل حالة
وظرف ، والمبادئ لا تعنيه إلا بمقدار ما تصلح لأن تكون أداة أوسيلة إلى
غايهم ، ولا يبالون بالألعاظ ما دام المؤدى الواقعى غير المعنى الذى في المعاجم
دارت مفاوضات وأحقت كلها ، وكل مشروعات المعاهدات تمس استقلال
مصر ، وقد كان التحالف العسكرى هو قاعدة كل مفاوضة ، ولم يعبأ الانجليز
باخفاق المفاوضات لأنهم واضعوا اليد ونحن المتلهفون واشدة لهفتنا قبلنا
(التفسير) وغالبنا بقيمة الألعاظ التى لا يعبأ بها الانجليز .

(١) جريدة الاخوان ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٦

(٢) نفس المصدر (الاستاذ تالازى)

(٥) الأعيب الألفاظ : استقلال وجيش الاحتلال قائم ، نزلت انجلترا عن
نقب المندوب واستبدلته بلقب السفير ولكن السفير ظلت له سطوة المندوب ،
تحرر جيشنا ونوليننا أمره ولكنهم طلبوا إلينا أن يساعدونا بقبول البعثة
العسكرية فمطلت على جيشنا كل تقدم ، وأصبحوا يقولون لنا أنتم ضمهءاء
ولا قوة حربية لكم وليس لكم قدرة في الدفاع عن أنفسكم بمفردكم .

(٦) عندما (١) هبت مصر تطالب باستقلالها في ثورتها الخالدة سنة
١٩١٩ وكادت أن تحقق حريتها جاء زعمائنا فانقسموا إلى فريقين - لعب
الفريق الأول ذلك الدور الذي تزعمه صدقي باشا في إصدار تصريح ٢٨ فبراير
سنة ١٩٢٢ . . . إذ نجح في إقناع الانجليز في إصداره من جانب واحد معلنا
انتهاء الحماية واستقلال مصر في الوقت الذي سلبه إبانها بتحفظاته الأربعة
وذلك حتى يختلف الناس على حقيقة مراميه بتصريح وحدة الأمة ، إما الفريق
الثاني وعلى رأسه سعد فقد عاد من المنفى وقبل الحكم والسلطان وذلك التصريح
ناقد بتحفظاته وقيوده

وقامت مصر لتقف وقفها الثانية ضد المحتل الغاصب سنة ١٩٣٥ وسقط
مها من شهداء الجامعة الأبرار : الجراحى ومرسى وغيرهما برصاص الضباط
الانجليز . وكتب الشباب المصرى بدمه صفحة خالدة على الدهر . . . فإذا
كانت نتيجة هذا الجهاد وهذا الاستشهاد ، معاهدة ١٩٣٦ تلك المعاهدة التي
كسبت بها الحماية الانجليزية على مصر والسودان لمدة أخرى

وجاءت الحرب الأخيرة تنذر بانهباء (الامبراطورية) العجوز وقام
الشعب بحركته في أوائل فبراير سنة ١٩٤٢ تلك الحركة التي وهدت في مهدها
وتمحضت عن انقلاب ٤ فبراير الذى كشر فيه الأسد الانجيزى عن ثوبه
لتجىء حكومة النحاس باشا التي أباحت المستعمر حتى الوادى وارزاق أبنائه
وأرواحهم وأحائهم مساكن الشعب ودوره ومكنت لجيش الاحتلال من

مرافق البلاد جميعا فلما انتهت الحرب وقام شعب وادي النيل العظيم لهوقا على تحقيق أهدافه ومراميه في الحرية والاستقلال واجتمع كلكه في فبراير ١٩٤٦ على المطالبة بالجللاء الناجز عن مصر والسودان وجاه صدق باشا يطلب من الأمة أن تمهله لتحقيق لها ما يريد . فأملهته على الرغم منها ، حتى عيل صبرها وتنفذ سهمها بين رباب المستعمر وختله ومطاوله صدق باشا ليخرج عليها أخيرا بمشروع صدق - يفتن يريد أن يفرضه فرضا ، بقوة الجند والسلاح

... ولكن الأمة اليوم قد اكتمل وهيها واشتد ساعدها وبدأت تقود نفسها بنفسها لأنها ينست من زعمائها وأحزابها وكفرت بنوابها وقادتها وأنها لتضع اليوم حقوقها أمانة في أعناق شباب الوادي قاطبة ، يقودهم جندا لاخوان المسلمين الأبرار الذين باعوا أرواحهم لله ولرسوله وآمنوا بحرية هذا الوادي وحقوقه المقدسة كإيمانهم بالله . .

(٧) لا بد (١) كي يتأكد سلطان الشعب من وسائله : انتخابات حرة تؤدي إلى أن يمثل أفراد الشعب أعدق تمثيل وصحافة حرة تظل رقيب على أعمال السلطات والأمة مصدر السلطات لا ينبغي أن تملو مشيئة على مشيئتها وقد شرعت الانتخابات لكي يفتب كل فرد من الشعب من يشاء ليكون لسانه والمعب عن آماله ورغباته . ومن ثم كان كل ضغط في الانتخابات وتدخل فيها تزوير لإدارة الآلة ونقلها لسلطانها من مكانه الطبيعي إلى أيدي أصحاب المصالح في الضغط والتدخل وتكون النتيجة المحتومة أن يصبح البرلمان في راد والآلة في واد وبصح للامر ديكتاتورية تلبس ثياب الديمقراطية

(٨) وضع (٢) الثوار الحجر الأساس في بناء الاستقلال ثم شرعوا في في وضع الأحجار وإقامة الجدران وقد روع هذا الفتح المدين قلوب الانجليز وأيقنوا أننا بالثورة بالقون حتما شاطئ الاستقلال وعندئذ ابتدعوا بدعة (المناخضة) في أمر هذا الاستقلال

إن تاريخ الدنيا لم تسجل منذ الخليفة حادثاً وأحداً يقول فيه إن أمة
فقدت استقلالها ثم استمدت هذا الاستقلال عن طريق المفاوضة مع أعدائها
وسألي حرقها

(٩) فراض انجليز على هذا البلد بعد ثورة ١٩١٩ حلقة خاصة وسياسة
خاصة ذات قواعد وأصول وتقاليد وأدخلوا اليها من قبل الدخول ورضى بهذه
القيود من يؤمنون بألفاظ المحالفة والصدقة والود ، التي هي في معناها الايمان
لسلطان الانجليز على مصر ورعاية مصالحها ومواجهة ثورة الشعب ومطالبه
بالخيلة وفتش الثورة وقتل روح الجهاد ، واستعمال الرفق والملاينة وتخدير
الأعصاب واتخاذ سبيل المطاولة والمساومة وسيله إلى إرضاء الانجليز ، ولم
يقبلوا في هذه الحلقة المرة إلا من رضى بهذا القانون وقبل هذا الوضع التقليدى
وقبل العمل به وأقره ، أما فريق المؤمنين بالقضية الوطنية إيماناً كاملاً صحيحاً
ثابتاً لا مساومة فيه ولا مطاولة ولا معادلة بين رغبات الانجليز وحقوق
الوطن فقد أنكر عليهم الانجليز الدخول في هذا الميدان الشعبي وخيراً فعلوا
فإنهم قد أطعموا الشعب وغذوا روحه ونقد حاول الانجليز أن ينصرف الناس
عن هؤلاء . وأن تمتلأ نفوسهم بالأمهواء البسيطة فتعزف عن الأهداف الكبرى
فساطت عليهم الحكومات لتغرق جمعهم وتكبح أقوالهم ومصادرة اجتماعاتهم
ومحاصرة دورهم وإذا قصرت حكومة أنذرت واتهمت بأنها ضعيفة لا تستطيع
المحافظة على الأمن العام وحاول الانجليز إرضاء الشعب بالمصالح الفردية
والموظفين بالعلاوات والدرجات والعطاء بالآلقاب والوزراء بالنباشين لحمل
كثير منهم لقب سر وحمل بعضهم نيشان جورج الخامس وكذلك انصرف الناس
خلال هذا الربع قرن إلى أصحاب السلطان من الوزارات المتوالية يناصرون من بحقة
الرجاء ويحجب المطالب وينصرفون عنه إذا انصرف عنه السلطان ويخلعون له إذا خلعه
لاطوغلى ، وقد أدى ذلك - منذ فجر الثورة - إلى إقصاء الحزب الوطنى ودعاة الجلاء
الكامل والوحدة لوادى النيل من منبعه إلى مصبه عن ميدان العمل فلم يشتركوا في أى
وضع من أوضاع العهد الجديد (عهد الحزبية الحاكمة) وادى ذلك إلى أن
حارب مصطفى فهمى وسعد زغلول أمثال محمد فريد وعبد العزيز جاويش

لحوم بعضهم ونفى الآخرون ولم يمتدح لهم في ثورة ١٩١٩ بأى جبل ، وتولى
جنى ثمار الثورة فريق جديد اتشح بالوطنية فجعلها منصبا ينال وما لا يجمع
وجامها بضع صاحبة فى الأبراج العاجية فلا يحس بانين الشعب الجائع العارى
تولاها هذا الفريق من السياسيين لا الوطنيين ، من أولئك الذين يؤمنون
بالمناورات المداورات والمساومات لا من الذين يؤمنون بالوطنية المجاهدة
الصريحة العاملة وأصبح هؤلاء بين تخدير للشعب وحرف له عن المطامع الوطنية
العليا إلى المصالح الفردية وبين إرضاء للانجليز وحرص على إجابة مطالب
قصر الدوبارة وحشية له من دون الله ، ذلك لأنهم كانوا يعرفون أن من يخلف
الظن يخلف الكرمى بجلاله ووقاره فى لحظات قصيرة .

(١٠) والكر (١) المعجب العجيب أن هؤلاء الوكلاء من ١٩١٩ إلى ١٩٤٦
أى فى مدى ٢٧ عاما أو أكثر من ربع قرن لم يرفعوا القضية المصرية إلا أمام
الانجليز ولم يسمعوا فيها (حينما وجدوا للسعى سبيلا ، وإنما سمعوا فيها لدى الانجليز
ولم يكلموا فى شأنها إلا انكارا .

ولم يترافقوا إلا لدى المحاكم الانجليزية ، ولم يتفارضوا إلا مع مانرو وتشمبرلن
وكرزن ومكدونالد وإتلى وبيفن وستانسجيت وكلهم انجليز .

(١١) فى أيام مصطفى وفريد كانت القضية المصرية قضية دولية ، وكان
المجاهدون يعرضونها على مسارح السياسة فى كل مكان . ولكنا - تحت ضغط
السادة الانجليز وتحت سلطان الأكذوبة الهائلة (الصداقة وحسن النية)
قد نقلناها إلى حدود الوطن ، وأن ثورة ١٩١٩ المدوية الهائلة ارتفعت وأحضان
الانجليز ولم تسع الأحزاب المصرية التى تعاقبت على أثر هدنة الحرب الكبرى
الأولى مع الأمة بوثيقة التوكيل (حينما وجدت للسعى سبيلا) وإنما قصرت
همتها على التعامم مع الانجليز وحدهم فأصبحت قضية وادى النيل قضية انجليزية بحته
(١٢) الصداقة ، الثقة ، التحالف ، التعاون ، عرى الود والصداقة ، الثقة

المتباركة، هذه هي ألفاظ الاستعمار البراقة التي تداولتها المشروعات والوثائق والمعاهدات من سنة ١٩٢١ إلى الآن وهي ألفاظ كالطبل المفرغ ليس ورائها أى معنى إلا سحق الحريات واستباحة الأوطان وقتل الكرامة والعزة والرجولة، والسيطرة من وراء ستار على الوطن والشعب .

واللفظ يحتمل عدة معاني، والجملة عدة تفسيرات . كأنها الألفاظ والرموز ومنها (الوضع القائم) والأمر الواقع . والظروف القاهرة، والاعتبارات العملية، والتدرب على الحكم الذاتي .

(واشكار المحدثات اللغوية الماطامة التي تحمل أكثر من تأويل وتطعيم النصوص بالتحفظات لتكون الاشكالات جاهزة عند اللزوم)
والوطنية لها معنى واحد في قواميس اللغة ولها ألف معنى في قواميس الأحزاب (المصور ١١٥٢)

(١٣) أفتح أى مجلة من المجلات والصحف أو الكتب تجد أن روح الشعب كله تزفر زفرات متقدة حارة كلها الكرامة والمقت للانجاز والازعامات الظالمة الكاذبة التي لم تكن يوما من الأيام إلا وبالا على الحق الواضح الصريح، حقنا في الحرية .

(١٤) الزعامة (١) المخلصة لوطنها لا تنتظر في إبراجها مترصدة تنحين الفرص للوصول إلى الحكم وليست الزعامة المخلصة هي التي لا تعرف العمل إلا في الحكم وحده، وإنما الزعامة شقاء وجهاد وكفاح وتوجيه، ولعل هذه المهمة أبلغ وأقوى وأشد خارج الحكم منها داخل الحكم .

(٥) مبط (٢) المستوى الوزاري هبوطا خفيفا، وهانت الوزارة على الشعب وهان الوزراء بهبوط مستوهم، فهانت شخصياتهم، وفقد منصب الحكم جلاله ووقاره .

(١٦) لم تؤمن الآن بالبت السريع فتقول نعم أولا وهذا من شروء (مناورات السياسة) التي ابتلينا بها بعد ثورة ١٩١٩ (فنعم (١) أو (لا) خير ألف مرة من هذه المحاورات والمداولات وهي نظام السياسة في الإسلام ويجب علينا أن نتخذه نبراسا، ولو عرفت انجلترا فينا هذا الخلق لآرقها ذلك وأزعجها (١٧) بيننا (١) وبين العمل الجدى فراسخ وأمبال، والكلام والكتابة والمظاهر والمظاهرات لا تكلفنا كثيرا وهي شيء سهل على كل مخلوق أن يمارسه، وإنما هناك في حياة الأوطان عمل جدى اسمه الكفاح، الكفاح المكتوم المرسوم الكفاح الذى يوضع له خطة، ويحدد برنامج وتؤلف من أجله شعبا وفريق لها مأمورية، فريق يعلن أنه لا يقبل الحكم إلا إذا اتيج له أن يفعل كيت وكيت، وفريق يقاطع التجاره والصناعة فلا يستورد ولا يصدر، وفريق يتولى جمع المال للحركة الجديدة لا الهزلية، وفريق يسافر إلى أوروبا وأمريكا للدعاية ولإسقاط القصة المصرية واكتساب الأنصار

(١٨) الميدان (٣) السيامى المصرى ميدان مضطرب مكفهز مليد بالغيوم منذر بالعواصف وإن تستطيع أمة أن تجسم قضيتها وتجتاز خطة الفصل والجسم وميدانها السياسى ثائر غير هادى وأطامها السياسيون سواء أكانوا داخل الحكم أو خارج الحكم منشادون مختلفون متقاطعون وبخشي الوطنى الخاص الذى لا ناقة له فى الخلاف ولا جمل والذى ينف على الحياد ولا يتأثر بالهوى ولا بالفرض، أن تتأثر القضية المصرية لا بالخلاف حول الرأى وفى الجوهر، وإنما بالخلاف حول الهوى والفرض والمطمع فلا توجه التوجيه الصحيح البرى لأنها تستخدم وتستغل لا للمصلحة العامة وإنما للمصلحة الشخصية

(١٩) الزعماء (٤) فى الشرق تدفعهم الحماهير وتسوقهم وتضغط عليهم

(١) مسامرات الحب

(٢) الصور ٢٥/١٠/١٩١٦

(٣) ف ٠١ (الصور ١-١١-١٩٤٦)

(٤) الصور ١٣-٧-١٩٤٦

وتوجههم وهم يقتنعون بالزعم فيكتفون بأن يكونوا لسان حال الجماهير
تلك هي مصيبة الأمم الشرقية في زعمائها ، أنهم في الواقع تابعون لا متبعون ،
ومزعمون لا متزعمون ، ولو فعلوا غير ذلك لفقدوا مكانهم ومن هنا ينضح
لك أن الزعامات الشعبية ضعيفة لا تقبض على الزمام بيد من حديد وإنما بيد
من حرير .

لا يزال زعماء سنة ١٩٢٠ م زعماء ١٩٤٦

احسبكنا الزعامة وحرمانها على غيرنا فقتلنا التجديد في القيادة الشعبية
وظلت العربية القديمة مخيولها القديمة تلف وتدور من غير حائل
(٢٠) هذا العمر الطويل الذي انقضى في المعارك الحزبية ، والمظاهرات
والاحتجاجات ، والأحزاب التي لا تعمل شيئا خارج الحكم إلا الترهص بمن في
في الحكم الدوائر ليسقطوا ليحلومهم . لو صرفت الأحزاب أنصارها إلى تدعيم
الانتاج الأعلى والشعب في التعليم والصناعة والزراعة والصحة ، لو اتخذت من
لجانها وجرائدها واجتماعاتها وسائل لتقوية الثقافة الوطنية ومكافحة الأمية ،
لو أرسلت البعث إلى دول الشرق والغرب لتحصيل العلوم الطبيعية والتجريبية
لكان لنا من وراء ذلك قوى تضغط بها على إنجلترا .

(٢١) عله الدلل أننا ملزم من عشرين عاما مواقف سلبية في غابة الخطورة
على قضية البلاد ، وحقوق البلاد ، وثقة البلاد في زعمائها الذين يتناوبون الحكم
فلا يتقدمون ولا يتقهرون .

(٢٢) لم نربح من الحزبية والبرلمانية شيئا إلا هذا الهبوط في المستوى
الوطني ، وانتقال القضية من كعناح وجهاد ونضال ، وثورة ووطنية وحماة
وإيمان وعزة وحرية وقوة ورجولة وإجماع إلى ما ترى من مناورات ومناوشات
ومسارعات ومخاورات ومماطلات ومطاولات ، ومبابة ومعاهدات وتناحر
حزبي ونمزيق لجسد الأمة وقتل لروحها ، واحتلال اقتصادي وسياسي وعسكري
 واجتماعي وثقافي ، ووجود طوائف عجيبية من الأحزاب السياسية وفديين
ودستوريين ومستقلين وانحادين وشعبيين وسعديين وكسبيين ، يمثل كل حزب

من هؤلاء واحد، هو كل شيء في الحزب، لا برامج ولا أهداف، ولا شيء مطلقاً إلا الحكم بجميعهم ويوحد بينهم ويفرقهم ويدفع بهم إلى الخصومة - ومحاقة عجيبة، قلنا تتحرر من ضغط الأحزاب، واستعمال العاطف السباب والعش والانهام. أوجاد عجيب، هو في ذاته عدااء لقضية الوطن واستدرار لأموال الانجليز واليهود والسفارات والحكم في أبدى المصريين إسما وصورة ومظهرا وفي أبدى الانجليز فعلا ومعنى، ودليل ذلك الاندازات المسلحة وغير المسلحة، وبعد أن كانت مقاطعة لجنة ملز مثالا خالدا في نتائج الجهاد وأضراب الزعماء عن الحكم سنة ١٩٢٢ أصبحنا ننأجر على مشاريع المعاهدات تفرضها على الشعب بالحديد والنار وتكلم الألسنة والأقلام والصحف والهيئات ويفرض عليها الحصار العسكري واستطاع الانجليز أن يقسمونا إلى متطرفين ومعتدين فيرون في أهل الوطنية والكفاح وإيقاظ عزائم الأمة ما يسمونه تطرفا ونرى نحن فيمن يسمونهم معتدلين معنى الضعف والمساومة والرضى بالطغيان والاستبداد وقبول الاحتلال ولسكننا عائدون إلى وطنية الجهاد مرة أخرى وقد تم النصيح الوطني والوعى الاسلامى الكامل وان يكون أمره ثورة أو مظاهرة أو مناف وانما تجديد كامل شامل لا تقبل معه هذا الظلم والاحتلال والضغيان بفضل المجاهدين الأحرار متمثلا بقول عمر رضى الله عنه (يهيجنى من سيم الخسف أن يقول (لا) بئلا فيه .

(٢٣) نبت (١) (النظام البرلمانى) فى بداية هذا (الربع قرن) وطبل له المطبلون وذمر له المزمرون ورقص له الراقصون فلم أو من به ، وما زلت كافرا بنعمته وفضله ، وإن كنت أشترك فى ماسيه وأثامه ، فقد نشأ النظام البرلمانى فنشأت معه الحزازات والخلافات والضغائن والاحقاد ومات الجهاد وحلت محله المطامع ، وانشغل الأقطاب وانشغلت الأحزاب عن (الاحتلال) (بلا طوغلى) وحلت الممارك (الدستورية) بين القصر والأحزاب محل

ممارك الاستقلال والحرية ، وساءت الادارة وتعدى الانصار على حقوق غير
الانصار ففشت المحسوبة وتضخمت الماديات وطفى (الاستقلال) على الاستقلال
وطفت المصلحة الشخصية على الحرية ، وبقي الاحتلال !

ماذا أجدت البرلمانية غير للفوضى ، وعدم الاستقرار ، والقطيعة بين كل
الأحزاب ، وحملات الثأر والانتقام ، وحربا أهلية لو وجدت السلاح لسفكت
الدم وحصدت الأرواح وأزهقت النفوس وملأت السجون بالضحايا ولكن
الله سلم !

فشل (البرلمانية) في مصر طبيعي : ما استقام في أية بلد حال برلمان مع
احتلال ! الاحتلال المسيطر يقتل كل الساطات ومنها السلطة البرلمانية فلا تملك
أن تقضى أو تبرم ، أو تفسخ أو تسقط وزارة ، أو تقيم وزارة ، وإنما تبقى
هكذا (هيكل) أو (شكلا) أو (أداة) للحكم ومطية للحكام :

(٢٤) الصحافة (١) . كانت قبل الاستقلال المزيفة - والبرلمانية المزيفة -
لا تحترم إلا الكفاح والجهاد أما اليوم فالبرغم من انتعاشها وانتفاخها ويسرها
وغناها واستفحالها تعمل (موظفه) عند مخلف الأحزاب تنقل للرأى العام
أوامر الزعماء وأغراض الزعماء وأهواء الزعماء . . . وبعد أن كانت وثيقة الصلة
بالشعب اتخذتها (عصابات الأحزاب) أداة مسخرة لشهواتها ومطامعها
فدفنت رسالتها العالية الحرة المستقلة ، في قبر من قبور العبودية الحزبية . . .
(٢٥) أن (٢) سوابق الانجليز معنا تؤكد بصورة لا حيلة لاحد على
إنكارها أنهم طغاه لا يعترفون بالحق ، ولكن يرضخون للقوة ، ليس لهم كلة ولا عهد
ولا ميثاق ، وقد جربناهم في أنفسنا أربعة وستين عاما فلقينا منهم الويل والشقاء -
وسوء العذاب .

ساقونا في الحرب العالمية الأولى إلى الدمار ، أخذوا عمالنا وغدائنا وما شئتنا
وفرضوا علينا الجمل والجوع والمذلة ، وتمضت مصر نهضتها في إعقاب تلك

(١) نفس المصدر .

(٢) آخر سافة ١٤ أغسطس ١٩٤٦ .

الحرب وأريق في تلك المصنعة دم وبذلت تضحيات ، ومات شباب ، وقد قالوا :
نهضتنا بالحديد والنار ، قتلونا ولكن لم يقتلوا شعورنا ولا إيماننا بحقنا .
فتركوا أسلوب القوة ولجأوا إلى أسلوب الخداع ، ولقد نجح هذا الأسلوب
لأنه جلب قاذبتنا وزعمائنا من دعاة وطنية إلى سماسرة ومفاوضات ولكن لم ينجح
في إزاحة الأمة عن التمسك بحقها والشعور بقسوة الطغيان عليها .

وتمت معاهدة ١٩٣٦ فكانت وبالاً علينا ، وجعلت الحرب قاذبتنا كل
التزاماتنا ولم تأخذ بعض حقنا ، أشعلنا النار (لخلقائنا) ضد أعدائهم
في بلادنا لجللونا نحن وقود النار ، أخذوا طعامنا وحرصوا الجائعين علينا .
مرجرونا من ملابستنا ولا مونا على أن عندنا عزابا ، هدو قوانا وعبرونا
بأننا ضعاف وارتكبوا معنا خلال الحرب من الجرائم والآثام ما لا يكفى
لحموه صلاة ولا صوم ولا استغفار .

وبعد

فهذه هي كلمات الكتاب الأحرار سجلناها في ختام هذا البحث حتى لا يرمينا
(مفرض) بأننا نصدر عن هوى ، فقد أجمع أحرار الفكر على أن هذه الحياة
التيانية الجديدة القائمة مع الاحتلال كانت نسكة كبرى على الوطنية وعلى الحرية
وأنا شغلنا بأنفسنا عن جهاد الغاصبين ، وأنها مكنت للانجليز ولم تدفعهم
وإنها مزقت الأمة بعد وحدة ، ونقلت القضية من العدا والكفاح والصراحة
إلى المناورات والمفاوضات والنفاق ، وأن الحكم أصبح بطية الأحزاب والزعماء .
وإننا تأخرنا كثيرا عما كنا سنة ١٩١٩ .

ولكن نفحة جديدة من نفحات البهظة قد هبت على هذا الوطن فأكملت
وعيه ودفعته إلى النضال من جديد في قوة وحرية .

ولقد احببنا أن نفصل هنا وقائع الحياة السياسية في مصر منذ ثورة
١٩١٩ فتكلمنا عن الدستور والبرلمان ولا تزال أمامنا بقية من الحديث عن

(الأحزاب والزعماء) وعن سلطان المندوبين الانجليز على الحكومات وعن قضية المفاوضات والمعاهدات .

ثم يختم هذا البحث الصريح بتفصيل دقيق لقضية جنوب الوادى (النيل لا يتجزأ) وإننا نسأل الله تبارك وتعالى أن يوجهنا إلى الخير وأن يجعل عملنا هذا خالصاً له .

وإننا لانستطيع مطلقاً أن نؤمن بأن هناك طريق للظفر بالحقوق إلا طريق الوحدة والتجمع والایمان الصحيح يهدم بالآثار المظلمة التى دعم الانجليز قواعدها فى جوانب الحياة المصرية هذه الآثار التى أصابت للوطنية والاجتماع والاقتصاد والثقافة والحكم ، وإننا إذا آمنا بأن الانجليز كانوا دائماً لنا خصوم الداء وأعداء منافقين . يبطنون فى أنفسهم الغل الدفن ويكشفون الالفاظ البراقة الخداعة ، إذا آمنا بذلك واقنعنا به لزم أن نقف منهم الوقفة الصريحة التى يعرفها الاسلام ويأمر بها دستور القرآن (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء أن الله لا يحب الخائفين) فجاهروا بالخصومة واعملوا عمل الأذكاء العقلاء الحكماء فى ميادين العلم والاقتصاد والانشاء والتعمير لا عمل الطاشين المتهورين والله ناصركم وهو غالب على أمره وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير .

أنور الجندى

أول كل شهر من الأشهر الثلاثة

(١)

بين لاظوغلي وقصر الدبارة

(٢)

تاريخ الأحزاب السياسية والزعماء

(٣)

دسائس الاستعمار في الشرق

(٤)

النيل لا يتجزأ

